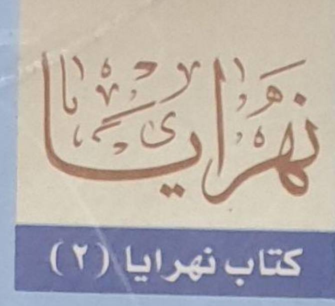


قحطان جاسم جواد



عزيز علي

العبقري الذي ملأ الدنيا وشغل الناس





عزيز علي

العبقري الذي ملأ الدنيا، وشغل الناس

عزيز علي

العبقري الذي ملأ الدنيا وشغل الناس

قحطان جاسم جواد

الطبعة الأولى 2014

عدد الطبع 3000

عدد الصفحات 104 – القياس 12*19

التنضيد: بشرى خضير كاظم

الكتاب الثاني



بغداد- شارع المتنبي

موبايل: 07905139941

hamawendi@yahoo.com

mazin24@ymail.com

yaserbook@yahoo.com

عزيز علي

العبقري الذي ملأ الدنيا
وشغل الناس

قحطان جاسم جواد

توطئة

فجـأة تـذكر الجميـع أن الفنـان العراقـي الكـبير عزيز علي مايزال موجوداً.

وخـلال الأشـهر القليلـة مـن عـام 1991 كانـت كـل الصـحف تتحـدث عـن الفنـان عزيـز علـي ومونولوجاتـه الـتي هـزّ فيهـا الحكومـات العميلـة للاستعمار في العهود البائدة .

فقرّرت إجراء حوار مع عزيـز علـي. كانت الفكرة - في البداية - إجراء لقاء مع الشاعر والمونولوجست عزيز علي، لكني عندما التقيته لأول مرة، وحدثني عن بعض الإحداث التي عاصرها إبان الحكم الملكي، وحكم عبـد الكـريم قاسـم وعبـد السـلام عـارف، وجـدت أن عزيـز علـي لا يمكـن أن نلـم بتاريخـه الفني في لقـاء، أو حتى لقاءين، بل وجدت أنه يستحق أن نكتب عنه عدة موضوعات في ملفّ ننشره عبر أعداد مجلة ألف باء التي كنت أعمل فيها آنذاك.

الملف تضمّن تعريفاً بفنّ هذا الفنان الكبير، ولمحة عن حياته وفنه، كما تضمن لقاءات، أجريتها معه في منزله لعدة أيام. وكذلك سيتضمّن الكتاب بعض التفاصيل عن الكتب التي تناولت مسيرته، إضافة إلى تثبيت بعض كلمات مونولوجاته، وبعض التقييمات والذكريات لبعض الشخصيات التي عاصرته .. إضافة إلى حلقة خاصة عن برنامجه الشهير ((في رحاب الفن)) الذي هزّ الأوساط الفنية في منتصف الستينات، باعتباره خروجاً عما كان مألوفاً آنذاك، والبرنامج يعدّ حجر الزاوية في تفكير وسلوك وآراء عزيز علي الذي أمضى سنوات عمره من أجل نشرها وتثبيتها والدفاع عنها .

- 1 -

عزيز علي فنان كبير وقدير، ويكفيه فخراً أن مونولوجاته أصبحت صالحة لكل العصور، لما فيها من عبقرية هذا الرجل الكبير بفنه وثقافته . فمثلما أخافت مونولوجاته العهد الملكي، خاف منها عبد الكريم قاسم، وتلاه عبد السلام عارف، ثم جاء دور

البعثيين .. وقد استخدمت المعارضة العراقية خارج العراق ضد نظام الرئيس السابق صدام حسين أقوال ومونولوجات عزيز علي لكشف الكثير من خفايا وعيوب النظام .

ومازال لحدّ يومنا هذا أقوال أو مونولوجات عزيز علي حاضرة ومؤثرة، بالرغم من أنه كتبها ولحّنها قبل أكثر من نصف قرن ... فأيّ كلمات تلك التي يبقى تأثيرها السحري نابضاً رغم تقادم السنين؟! .... إنها العبقرية الحقّة .

عزيز علي صال وجال في دنيا الفن، وأصبح ظاهرة فريدة في عهده ومماته رغم أنه لم ينل حقّه في الرعاية والاهتمام والإعلام .... وأذكر أني يوم قررت الكتابة عنه نبّهني البعض إلى أني أدخل نفسي في مشاكل أنا في غنى عنها؛ لأن عزيز كان مكروهاً من النظام، أو غير محبوب ! لكنّي لم ألق بالاً، لذلك ذهبت إلى عزيز في داره، أو غرفته البسيطة، وحققت حواراً رائعاً وثميناً، يحق لي الفخر والاعتزاز به .. وهنا لابد من التقدم بالشكر الكبير لمن ساعدني في الوصول إلى بيت عزيز، وتحقيق اللقاء معه، وهم الناقد الراحل

عبد الوهاب الشيخلي، وأبو علاء زميلي العزيز في مجلة ألف باء، وكتاب اللحن الساخر لزميلنا الكبير حسن العلوي الذي يعدّ من أهم الكتب التي تناولت شخصية عزيز علي، وكذلك الزميل عقيل إبراهيم العطية، وعلي حسين لتزويدنا بالصور، وكل مَن ساعدنا بتقديم الصور والوثائق عن حياة هذا الفنان الفلتة .

وقد كان مقدّراً لهذا الكتاب أن يصدر عن دار الثقافة والنشر الكردية، لكن الصحفي سامر المشعل أجهض الكتاب في مهده، ولا أقول شيئاً، لكني سأذكر الحقيقة للقرّاء، وأترك الحكم لهم .

أول مَن فحص وأجاز الكتاب هو الدكتور والناقد والباحث الموسيقي حبيب ظاهر العباس، وأشاد به، وأجازه، وأرسل الكتاب إلى الطبع، لكن مجيء الدكتور جمال العتابي كمدير لدار الثقافة والنشر الكردية أعاق الموضوع، ويبدو أن هناك شيئاً ما بينه وبين العباس، مما جعله يسحب الكتاب، ويحيله إلى الأخ سامر المشعل الذي قام بدوره بالإجهاز على الكتاب. فأيهما أكثر فهماً وعلماً بشؤون الموسيقى: هل هود حبيب العباس صاحب أكثر من أربعين عاماً في عالم

الموسيقى والغناء باحثاً ومؤلفاً وناقداً ؟! أم المشعل الذي لم يمض سوى سنوات قليلة، في اجراء اللقاءات الفنية مع المطربين .

المهم أن الكتاب وقع بأيد أمينة لدى الأستاذ الناشر مازن لطيف الذي يستحقّ الشكر والتقدير، وقام بنشره، كما هو كملحق لمجلة نهرايا الفصلية التي باتت تأخذ حيّزاً جيداً لدى الوسط الثقافي العراقي .

و سنحاول سبر أغوار شخصية عزيز علي، ونستعرض أهم ما فيها .

قال عزيز علي إن المونولوج مصطلح يوناني لاتيني مركّب من كلمتين؛ هما مونو - وتعني فرد، أو فردي و - لوج -، وتعني كلمة أو خطاباً، فيصبح المعنى بالكامل (الكلام الفردي، أو الخطاب الفردي)، وهذا يشمل كل كلام فردي، أو خطاب، سواء كان ملحَّناً، أو غير ملحَّن .

لكن هذه التسمية ابتعدت عن مضمونها كثيراً، فصارت تُطلق في الوطن العربي على لون غنائي شعبي، يتداوله المهرّجون والضحّاكون .

ويضيف عزيز:

أما في العراق: فالأمر يختلف تماماً: إذ كان القطر يتطلّع إلى لون غنائي جديد، يصبّ فيه عواطف، ويحدد من خلاله مواقفه إزاء قضايا العصر الجديدة.

وكان لابد من ظهور مونولوج جديد بمضامينه وأهدافه: كي يكون رداً على أغاني السقوط والانحلال، ويبتعد عن المونولوج في مصر ولبنان وسوريا، مونولوج ينتقل بالغناء السطحي والهابط إلى غناء ثوري مرتبط بالمجتمع والشعب، ويدافع عن حقوق المواطنين، ويكشف عورات النظام الفاسد، ويدفع الناس للثورة على الظلم والفساد، ويحرّضهم ضد السلطة الرجعية والاستعمار البريطاني الجاثم على صدر الشعب العراقي . هو بالضبط ما فعله عزيز علي عن طريق المونولوج منذ أواسط الثلاثينات حين انطلق عزيز علي يردد المونولوج، وتردده معه جماهير شعبنا ساخرة معه من رجال السلطة، ومن المستعمرين وأذنابهم .

وقد ساعده في تحقيق ذلك النجاح المنقطع النظير الحنجرة الثمينة التي وهبه إياه الله سبحانه

وتعالى، وهي حنجرة مليئة بحرارة الإيمان ووقار الرجولة وقوة التجربة . سألته:-

❖ بماذا تسلّح عزيز علي في هذا الجانب ؟

- دخلت إلى هذا العالم متسلّحاً بدراسة أوزان الشعر العربي القديم، ودراسة موسيقية، استطعت من خلالها أن اختار البحر المناسب منها لكل تجربة. كما أجدت نظم الشعر، وجميع ما قدمته من مونولوجات، كانت من نظمي . وبذلك جمعت بين نظم الشعر وحلاوة الصوت ومعرفة الموسيقى، وهي حالة نادرة في الفترة التي ظهرت فيها .

سألت فناننا القدير عزيز علي مَن أنت؟ وكيف بدأت ؟ فقال: -

-أنا عزيز بن علي بن عبد العزيز بن علي بن حاتم بن هاني، وُلدت في محلة الشيخ بشار في جانب الكرخ في ربيع الأول من عام 1911 ((أي أن عمره 80عاماً حين التقيته أول مرة في عام 1991))، وبعد أن ختمت القرآن عند الملا في محلة رأس الجسر - جسر الشهداء حالياً، نقلني والدي إلى (الملا داود) في

محلة الفحامة، وظلت عنده ثلاث سنوات، تعلمت على يديه القراءة والكتابة وختم القرآن، ثم علّمني شقيقي عمليات الحساب الأربع والتاريخ والجغرافية في الصف الرابع، وأكملت الابتدائية، والتحقت بالثانوية في الإعدادية المركزية في الرصافة، وهي المدرسة الثانوية الوحيدة في بغداد آنذاك .

وأضاف :-

في عام 1926 قررت وزارة المعارف فصلي من المدرسة؛ لمعارضتي فصل الأستاذ – أنيس النصولي – مدرّس التاريخ في الإعدادية المركزية، مع مجموعة من الأساتذة والطلبة، بسبب ماورد في كتابه - الدولة الأموية في الشام .. وبعد أن ألغت الوزارة قرارها كانت الامتحانات على الأبواب، فلم أتمكن من اجتيازها، وكنت في الصف الثالث الأدبي وقتذاك ... فقررت الانتقال إلى دار المعلمين .

في عام 1928 فصلت من الدراسة مع عدد من طلبة وأساتذة دار المعلمين؛ لمشاركتي المميّزة في المظاهرة الكبرى التي خرجت بها بغداد احتجاجاً على

مجيء المدعو (سير الفريد موند) الداعية الصهيوني إلى العراق .. وكنت أتولى الهتاف في المظاهرة، وقد ظهرت صورتي في المقدمة، وتحت لافتة، كُتب عليها (فلتحيا الأمة العربية)، كانت الصورة قد التقطتها شرطة التحقيقات الجنائية. وكان معي في التظاهرة (حسين جميل وفائق السامرائي وعبد القادر إسماعيل)، وهم المشرفون على تنظيم تلك التظاهرة، وقد فصلوا أيضاً .

وفي موسم 1930 – 1931 شاركت في الامتحانات الخارجية، ونلت شهادة الإعدادية، وكان بودي أن أدخل كلية الحقوق، لكن وفاة والدي، الذي ترك لي رعاية أمي وأختي وابنتها، حالت دون ذلك .

وأشار :– قبل حصولي على الإعدادية في 2 نيسان 1928 عملت موظفاً في دائرة كمرك ومكوس بغداد. وبعد ثورة رشيد عالي الكيلاني، فُصلت من خدمة الكمرك بعد أن أذعت في الإذاعة ما يؤيّد الثورة، وبعد شهر من فصلي، اتهمت بأني حزت على مروحة منضدية من أموال اليهود المنهوبة ! وحكم علي بالسجن لمدة عامين، قضيت منها بضعة أشهر في

سجن باب المعظم، ثم نقلت إلى سجن الكاظمية، ثم عدت إلى سجن باب المعظم بعد أسابيع، ومنه إلى سجن العمارة مع مجموعة من الوطنيين والقوميين .

وبعد 17 شهراً، أفرج عني، وطلب مدير الشرطة العام مقابلتي، وأبلغني بأني متهم بالنازية، وأمرني بأن لا أقيم في بغداد، أو أن أعود إلى الإذاعة، وأقدم فيها بعض اشعاري، حتى أثبت للحكومة والناس بأني لست نازياً على حدّ تعبير مدير الشرطة. فاخترت الإقامة في كربلاء التي سبق أن عملت فيها كمأمور كمرك لمدة ثلاث سنوات .

❖ ما هي مراحل مونولوجاتك ؟

- عزيز علي طوال مدة إذاعته للمونولوجات لم يكن مادحاً أو قادحاً، إنما كان راوياً للوقائع والأحداث التي يفرزها المجتمع بأسلوب رقيق، لاقى من المستمعين رضا واستحساناً. ويمكن تقسيم مراحل مونولوجاتي أو(أقوالي الملحّنة) إلى ثلاث مراحل: ابتدأت الأولى منذ تأسيس إذاعة بغداد التجريبية في الأشهر الأخيرة من عام 1936 حتى نشوب الحرب العالمية الثانية .

أما المرحلة الثانية؛ فقد بدأت من عام 1939 حتى أواخر شهر مايس 1941، في حين بدأت المرحلة الثالثة من أوائل عام 1948، وانتهت في آذار 1958 .

المرحلة الأولى تميّزت باستعراض بعض التقاليد والمعتقدات البالية التي كانت تمارسها بعض النسوة الساذجات. في حين اتسمت المرحلة الثانية بنضوج وعيي السياسي والوطني . أما المرحلة الثالثة؛ فقد كانت مرحلة مواجهة مع السلطة الرجعية بعد أن ازداد الوعي، وصار الموقف ينبع من نظرة عميقة للأوضاع القائمة .

(المحرّر) كانت أقواله الملحّنة (أو المونولوج) تأتي حسب المناسبة أو الحالة التي تعيشها الجماهير .. وكان كل مونولوج يتحدث عن حالة خاصة وعامة، ويعالج حادثة ما . فالسقوط الذي تعانيه السلطة صوره في مونولوج (دكتور)، وصور الضياع والتيه في (السفينة)، وصور الجهود والطاقات الخلاقة للإنسان العربي التي يستغلّها المستعمرون في (البستان)، وجاء على المطامع الاستعمارية في (الطاوة محروكة)، وتناول مأساة الحرية في (إحجي) و (الراديو)، وصور الإرهاب

البوليسي في (اسكت)، أسباب التمزّق القومي في (منه منه)، كما انتقد الإقطاع في (صلّ عالنبي) .

وهكذا؛ لم يترك عزيز علي أية مناسبة تمرّ إلا وكتب عنها، وسجّل رأيه فيها، وردّدها في مونولوج سرعان ما يصبح حديث الناس .

-2-

في منزله المتواضع في منطقة الداوودي التقيت بعزيز علي للمرة الثانية الرجل الذي شغل العراقيين دهراً من الزمن من خلال أقواله الزجلية ومونولوجاته النقدية .

وبالرغم من أنه وصل الثمانين من عمره، فإن ذاكرته لازالت طرية .. بحيث يتذكر أدق التفاصيل التي حدثت له أو لغيره في الثلاثينيات من هذا القرن .

وعزيز علي كان إلى حدّ وفاته في تشرين أول 1997 يعيش مع ابنته وحيداً يتسلّى بالكتابة لنفسه . وأحياناً يدفع ما يكتبه للطبع بعد إلحاح صديقه الناشر (مصدق الجنابي) صاحب مطبعة (دار التربية) .

وقد لمست في عزيز علي العناد وعزة النفس التي لم يساوم عليها يوماً رغم العذابات والضغوط التي عاناها طوال أيام حياته في العهد البائد، كما كان صعباً في التعامل، ولا يقنع بسهولة .

عزيز علي فنان عراقي، اجتمعت فيه ثلاث مواهب شعرية وصوتية وموسيقية، سخّرها جميعاً لقضية الشعب وخدمته، فعانى الجوع والحرمان، وعاش السجن والاعتقال والاضطهاد، لكنه ظلّ رائداً لفنّ، لم يعرفه العراقيون من قبله، واستطاع من خلال لونه الغنائي أن يضيف شيئاً جديداً لتراثنا الغنائي، بعد أن لمس العراقيون في غنائه تعبيراً عن همومهم وتطلّعاتهم في الحياة .

فكان العراقيون يلتفّون حلول المذياع في كل يوم أربعاء للاستماع إلى مقالاته، أو مونولوجاته التي تتناول كل شيء، يمسّ حياتهم وهمومهم وتطلّعاتهم .

❖ قلت له متى بدأت تنشد أقوالك المميّزة بنظمها شكلاً وموضوعاً، وبمن تأثرت في نظمها بهذا الأسلوب الذي لم يكن معروفاً أو مألوفاً في الغناء العراقي ؟

- بدأت أنظم أقوالي، وأنشدها بالحاني من إذاعة بغداد بعد دراسة مستفيضة لأوزان الشعر وبحوره، بالشاعر الأكبر المرحوم أحمد شوقي، وبأسلوبه القصصي. فخرجت من قراءة رواياته الشعرية وحفظي روايته (مجنون ليلى وكليو باترة) عن ظهر قلب ... إن لكل موضوع بحراً من بحور الشعر، وإن لكل بحر من بحور الشعر لحناً، يجب أن يتناغم مع معاني الموضوع ومراميه. فبحور الشعر العربي للملحن المثقف هي المرشد والملقّن للتلحين، فهي ترشده إلى اللحن المناسب للقطعة الشعرية حسب موضوعها المناسب . فالقطعة الشعرية من البحر الطويل لا يجوز أن تلحّن بلحن راقص حركي. والشعر من مجزوء الرجز لا يجوز أن يضاف إليه نغم حزين كئيب بطيء. والشعر من بحر الكامل يجب أن يلحّن بلحن مناسب لمعنى الكلام. لذلك جاءت منظوماتي متناسبة مع الألحان . وقد ساهمت بالإنشاد في الإذاعة العراقية منذ بداياتها الأولى التجريبية؛ أي قبل منتصف عام 1936 يوم كانت تابعة لمديرية البريد والبرق العامة في مقرها بإحدى غرف المديرية . وبدأت بإنشاد

مقطوعات غنائية ليست من نظمي أو ألحاني، منها نشيد (بلادي بلادي) الذي لحّنه الموسيقار الخالد (سيد درويش)، وكذلك نشيد (الملائكة لا يسجنون)، و(يا مَن يحن إليك فؤادي) . وكان أجري عنها أربعة دنانير لخمس مرات، أنشدت فيها .. ففي الأولى، صرفوا لي نصف دينار وعن الثانية والثالثة 750 فلساً، وعن الرابعة والخامسة ديناراً واحداً، لكل منهما .

أما أقوالي المذاعة منذ عام 1937 لغاية 1958؛ فهي من نظمي وألحاني بدءاً من مقال (عال عال) إلى مقال (نونو) .

❖ مَن يتابع أقوالك يجد أنك بدأت بنقد العادات السقيمة الشائعة آنذاك، ثم انتقلت فجأة إلى معالجة القضايا المصيرية .... فهل تفسر لنا ذلك ؟

- حين فصلت مع مجموعة من طلبة دار المعلمين بسبب نشاطي في المظاهرة التي نظمت احتجاجاً على مجيء (سير الفريد موند)؛ حيث كنت أهتف (فلتسقط الصهيونية)، وأنا لا أعرف معنى حقيقتها، لكني كنت أسمع ما يقال من أن اليهود يريدون أرض فلسطين

العربية لجعلها وطنا قومياً لهم، وكنت وقتها صغيراً، وبعد الفصل، أصبحت أقرأ الصحف، وأتعرف على حقيقة الصهيونية والاستعمار، والذي جعلني أتحول إلى معالجة قضايا الوطن والواقع هو جريمة المستعمرين بقتل الملك غازي، ومن يومها، شعرت أن الواجب يقضي بالانصراف إلى قضايا المصير . وكانت الحكومة تحاسبني وتطاردني بعد قراءة كل مقال (مونولوج)، بسبب ارتباطها بالاستعمار والرجعية .

❖ اتهمت بالنازية في عام 1940، وتمت محاكمتك بهذه التهمة، فما الحكاية ؟

- في تموز 1940، ألقت الشرطة القبض عليّ، وأودعتني في موقف باب المعظم، وأناطوا بمتصرف بغداد (حسام الدين جمعة) مهمة محاكمتي، وجاءوا بستة شهود بكتاب الله أنني نازي. وقد تبرّع العديد من المحامين للدفاع عني؛ منهم الأساتذة عبد العزيز جميل وذيبان الغبان وقاسم العلوي ومهدي مقلد - يرحمهم الله - وبالرغم من قناعة المتصرّف ببراءتي من التهمة، فإنه اضطر أن يسجنني وقال لي على انفراد : ((عزيز، أنا ملزم بالحكم عليك تسعة أشهر رغم قناعتي ببراءتك)) .

من السياسة إلى بيع الأحذية

ويضيف عزيز..

وبعد أيام، جاءني، وقال لي إن وزير الداخلية آنذاك المرحوم رشيد عالي الكيلاني أمر بتبديل الحكم إذا دفعت غرامة (75) ديناراً . فطلبت أن يطلق سراحي لأيام؛ كي أتدبر المبلغ، لكنه لم يوافق، وعندما سمع السيد (طبارة صاحب شركة سيكاير) اتصل بأحد أصدقائه في الكمرك، وطلب إليه أن ياتي إلي كي يبشّرني بأنه سيدفع المبلغ عني، لأنه من المعجبين بأقوالي . فأطلقوا سراحي في أوائل آب 1943، لكنْ؛ بشرط عدم الإقامة في بغداد، فأقمت في كربلاء التي عملت فيها سابقاً ثلاث سنوات في الكمرك، وافتتحت – هناك – محلاً لبيع الأحذية؛ كي أستطيع أن ألبّي حاجات معيشة عائلتي .

سبع لغات حية

❖ كيف تعلمت اللغات الإنكليزية والألمانية والروسية والفارسية والكردية والجيكية ؟

- الجيكوسلفاكية تعلّمتها عندما عملت في سفارتنا هناك كملاحظ - أما الروسية؛ فتعلمت مبادئها عندما كنت في سجن البصرة في عام 1942 تعلمتها من اثنين من الروس، كانا معتقلين بتهمة قتل (الجاري) .

وفي كربلاء بعد نقلي إليها عند إطلاق سراحي كما قلت، تعلمت الفارسية من الزوّار الإيرانيين، في حين تعلمت اللغة الإنكليزية في المدرسة في مرحلتي الابتدائية والثانوية، فكان معلّمنا في الثانوية إنكليزياً، يُدعى (كودول)، وكان يفرض علينا حفظ القراءة مثلما يحفظها ويتلفّظها الإنكليز، لذلك صارت لغتي الإنكليزية جيدة، وساعدتني أثناء تعييني في الكمرك في عام 1928 .

أما اللغة الألمانية؛ فتعلمتها في أول الأمر عندما استقدمت وزارة المعارف أحد المعلمين الألمان لتدريس

اللغة الألمانية بالثانوية المسائية . ثم قمت أنا وطلاب آخرون بإكمال تعلّمها بدروس خصوصية عند امراة ألمانية، تسكن بغداد وهي يهودية هاربة من جحيم هتلر، وكذلك ازدادت معرفتي باللغة حين ذهبت إلى ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية، وبقيت هناك بحدود شهر، وأذعت بعض أقوالي من إذاعتها العربية .

كما تعلّمت اللغة الكردية على يد الأستاذ توفيق وهبي عضو مجلس الأعيان، وذلك في نهاية عام 1949؛ حيث أقام دورة لتعليم اللغة الكردية في نادي الارتقاء، فانتظمنا بالبداية 36 طالباً، وصار العدد يتقلّص إلى أن وصل إلى ثلاثة، واستطعت خلال 11 شهراً تعلّم اللغة الكردية .

عزيز يتنبأ بثورة تموز

❖ في أواخر عام 1957، أنشدت مقالاً بعنوان (هذي السنة سنة)، وكأنك تنبّأت فيه بوقوع حدث مهم في تلك السنة، ثم أنشدت (كل حال يزول) في آذار 1958 فهل كنت تعلم بوقوع ثورة تموز؟ أم .... ؟

- كل أحرار العراق كانوا يتوقّعون قيام الثورة للحال المزري، الذي وصلت إليه البلاد في ظل الحكم الفاسد. وأنا حتى في مقالاتي في بداية الخمسينيات، كما في (بستان)، و(تهنا وين الجد اللي يرشدنا) وغيرها، تشعر بنفس ما قلته في تلك الأقوال الأخرى .

❖ ماذا كنت تتوقع من ثورة 1958؟ وبماذا خرجت من نتائج ؟

- أنا وكل العراقيين كنا نتوقّع من الثورة إصلاح ما خرّبته الحكومات السابقة من القيم والذمم في المجتمع العراقي، وتطهير جهاز الدولة من المفسدين وتنفيذ قانون (من أين لك هذا؟)، وظهور القائد الذي يجمع شمل العرب .. لكنْ؛ خاب أملنا حين وجدنا أن قيادة الثورة قد دبّ الخلاف بينها، من أجل السلطة، وصاروا يذبحون الثورة ومكاسبها وأبناءها .

مؤسّس مدرسة الموسيقى

❖ في عام 1968 أسست مدرسة موسيقى الأطفال التي تحمل الآن اسم مدرسة الموسيقى والبالية، فهل نتعرّف على تفاصيل ذلك ؟

- في منتصف نيسان من عام 1968 أوفدت إلى الاتحاد السوفيتي – سابقاً – لمدة تسعة أسابيع، بموجب الاتفاقية الفنية المعقودة بين البلدين . ذهبت بوصفي مؤلفاً موسيقياً وملحّناً وإذاعياً معروفاً، وكان الغرض من الزيارة الوقوف على النهضة الموسيقية والفنون الشعبية في الاتحاد السوفيتي . وعندما طلبت منهم مشاهدة التلفزيون والإذاعة، كانت مفاجأة لهم: إذ كانوا يتصوّرون أن موفدينا لا يهمّهم سوى السهر واللهو والتسلية . ولم يحاولوا تلبية رغبتي تلك ! ثم لمست أنهم يعيرون أهمية كبيرة لتعليم الموسيقى للأطفال، وقد وصل عدد مدارس موسيقى الأطفال عندهم إلى أكثر من ألفي مدرسة . وهذا الأمر جعلني أفكر بتأسيس مدرسة موسيقى للأطفال في العراق . وعند عودتي، تقدمت بطلب رسمي إلى السيد وزير الثقافة والإعلام، وشرحت فيه الأمر، لاسيما وأنني لمست حماساً من بعض الجمهوريات الروسية للتعاون معنا في هذا المجال . فوافق الوزير، وأناط بي مهمة تأسيس المدرسة . فاستقدمنا ثلاثة أساتذة: اثنين من أذربيجان وواحدة من أرمينيا، فقاموا باختبار أكثر من (180) طفلاً، اختاروا منهم (22) طفلاً . وهكذا

شكّلنا الصف الأول بعد أن كتبت نظامها الداخلي بنفسي. وكنا نتنقل بين الأماكن لعدم وجود مقرّ دائم للمدرسة، فمرة كنا نداوم في مسقفات مصلحة السينما والمسرح في كرادة مريم، ومرة في مكتبة الطفل، ومرة في بيت خاص .

والمدرسة تأسست رسمياً في كانون الأول 1968. وافتتحت أول دورة لها في 10/ 1/ 1969 .

وأضاف :-

بعد التأسيس، استوردنا الآلات الموسيقية من إيطاليا، وبعناها للأطفال بأسعار الكلفة، وبالأقساط الشهرية . وكان من المدرّسين العراقيين آنذاك سعد محمود حكمت وعبد الوهاب الشيخلي وفؤاد الماشطة.

وفي نهاية عام 1969، قدمت المدرسة أول حفلة موسيقية رسمية، حضرها السفراء والقناصل في السفارات الأجنبية. وقد تميّز بعض الطلبة مثل (ندى عثمان)، وهي طبيبة حالياً، وشقيقتها (غادة) التي أرسلت إلى الاتحاد السوفيتي لإكمال دراستها . وكان المستوى العام للطلبة يفوق حدّ الوصف، وذلك بشهادة كلّ مَن حضر الحفلات الموسيقية التي أقمناها .

كولبنكيان يبني مدرسة الموسيقى

ويشير عزيز علي: -

وعندما جاء (كولبنكيان) إلى بغداد، عرضنا عليه المساهمة في بناء المدرسة، فوافق، وأرسل لنا (18) ألف دينار، وهي تكاليف البناية الحالية، وفي عام 1970 بدأت مضايقات مسؤولة المكتبة لي، وقد شكوتها أمام الوزير، لكنْ؛ لم تنفع الشكوى. وحين طالبت هذه السيدة بدمج مدرسة الموسيقى مع مدرسة الباليه، شعرت أنها تهدف إلى إجهاض هذا المنجز الكبير. فقدمت طلباً لإحالتي على التقاعد؛ لأنني أشعر أن الباليه ليس من ثوبنا، ولا يليق بتقاليدنا وعاداتنا من يوم دمجها، اعتبرتها قد انتهت !.

ردّ فعل على الأحداث

❖ كلّ ما قدّمته من مقالات (مونولوجات) كان يرتبط بالأحداث، فهل ما قدمته كان ردّ فعل لتلك الأحداث؟ أم ....) ؟

- كنت أقدم النقد للأحوال الاجتماعية، ثم تحولت إلى مناقشة الأوضاع السياسية ونقد السلطة، كما كنت أشارك الناس في أحاسيسهم وهمومهم، وأنقل مشاعرهم، وأحثّهم - أحياناً - على فعل الكثير من الأفعال .

ليس هناك نقد موسيقي

❖ وكيف كان النقد الموسيقي لأقوالك ومونولوجاتك ؟

- كانت انطباعات، وليست نقوداً ... فخالد الدرّة صاحب ومحرّر جريدة (الوادي) مدحني كثيراً، وقال عن مقال بستان إنه ((رائعة من روائع عزيز علي))، أما حسّاد هذا اللون – المونولوج – من الغناء الهادف من الذين لم يستطيعوا مجاراتي من المغنين والشعراء الشعبيين؛ فكانوا ضدّي، بشكل، أو آخر .

فبعد برنامجي (في رحاب الفن)، هاجموني بشدة، ونعتوني بشتّى النعوت السيئة، واعتبروا لوني لوناً دخيلاً على الغناء العراقي !

-3-

❖ قلت للفنان الكبير عزيز علي في أحد لقاءاتي معه عام 1991 لو لم تختر (المونولوج) الذي تسمّيه (مقالاً)، وعدت إلى بداياتك، فأيّ مجال تختار ؟

- فنظر الفنان الكبير، الذي تجاوز عمره الثمانين بأيام، إليّ نظرة عتاب ...

والمعروف عن عزيز علي أنه عنيد، وأنه رغم الشيخوخة، فإنه مازال عنيداً، لا يتراجع عمّا آمن به .... وقال بإصرار :

لو عدت إلى سنوات عمري الأولى لما اخترت غير هذا الطريق، الذي وجدت نفسي فيه ... ولا أحيد عنه رغم عذاباته وتعاسته ومعاناتي فيه، كنت أشعر أنني اقرب للمصلح الاجتماعي أكثر من قربي للفنان .. ولم أندم على اختياري لهذا الطريق الصعب أبداً .

❖ وكيف كنت تتعامل مع الناس الكبار ممّن يعجب بفنك، ويدعونك لحفلاتهم ؟

- كنت مرحباً بي من الكثير من الناس الكبار من التجّار والمسؤولين، لكني لم ألبّ دعواتهم، وما أكثرها .

كنت لا أرتزق من أقوالي الملحّنة، ولا أحضر حفلات خاصة، باستثناء حفلة عامة، أقيمت في نادي السكك.

ماذا حدث مع نوري السعيد؟

❖ ماذا دار بينك وبين نوري السعيد في استوديو الإذاعة في عام 1956 ؟

– في يوم الأربعاء من أربعاءات عام 1956 كنت أستعد لدخول الاستوديو لإنشاد مقال (السفينة). و(صلّ عالنبي)، وأثناء الإنشاد، فوجئت بوجود نوري السعيد – باشا – وراء زجاج غرفة مراقبة الاستوديو. ينظر إلي مع بعض موظّفي الإذاعة، وقد خيّل إلي أنه سيكرّمني، فانسجمت مع المقال، وبعد فترة، ترك غرفة المراقبة، وعاد بعد قليل، وهو يحدّق بي، ويطيل النظر نحوي، وبعد لحظات، دخل مهندس الإذاعة – ناجي صالح – وأسرّ في أذني (هل تحمل معك مجموعة أشعارك؛ لأن الباشا يريد أن يراها)، فسلّمته إياها، وهي بخطّ يدي. وكان الباشا قد سأله هل أن عزيز علي(لك هذا شنو دايحجي من كلبه)، فأجابوه (لا، باشا ... هذا هو ينظم ها الأشياء، وحافظها، ويقرؤها على الغيب، ومدير الإذاعة موافق عليها . فطار صواب

الباشا، وقال: وين مدير الإذاعة، فأجابوه (طلع قبل شوية)، فقال (لعد جيبولي الأشعار اللي دايكولهة هذا – يقصد عزيز). وبعد حين، عاد المهندس ناجي: ليقول لي (الباشا يريدك)، فذهبت إليه، وأنا أجهل ما قاله للموظّفين .. فقال الباشا: (وبشكل يوحي بعدم الرضا) انته شدعوة هلكد متشائم . وداتبجي الناس بها الحجايات ... ييزي تشاؤم .. ييزي مضت علينة أربعميت سنة واحنه نبجي، ثم أردف قائلاً :

انته شنو شغلك ؟ فقلت: إني موظف بالكمرك – فقال (واي واي .. جمالة موظف بالحكومة)، فقلت لنفسي: (أكلها عزيز أفندي – خوش تكريم راح يكرّمني الباشا)!

ثم قال الباشا شنو (جي)؟ وشتقصد بعبارة (آخر كل علاج الجي)، فقلت .. باشا، أنت تعرف شنو الجي، فقال الباشا: (المن تريد الجي؟)، فأجبته: لم أقصد ناساً معينين .

فدسّ المجموعة في جيبه، وقال: بسيطة. وغادر المكان! فخفت في حينها، ولم أنم في تلك الليلة . وفي اليوم التالي، ذهبت إلى كمرك بغداد: حيث كنت أعمل

مخمّناً، فرن جرس الهاتف، وحدثني الأستاذ خليل إبراهيم مدير الدعاية العام، وقال الباشا يريدك، ويبدو أنه كان يظن أنك شيوعي !

فذهبنا سوية إلى مجلس الوزراء في القشلة، واستقبلنا الباشا قائلاً: (شتشربون) ؟ ! فاعتذرنا كلانا عن طلب شيء، ثم قال: (انته، يا اخي، الله ناطيك هالموهبة، تسفط الكلام مثل ما تريد، فليش داتفزز الناس، واتهيجهم .. كول البلد بخير وبيه رجال مخلصين، يكدرون يقضون على هالعيوب والآفات .. ليش تلزم الجوانب السلبية، وما تذكر الإيجابية. ثم توقّف عند كلمة في مقال (حبسونا)، أقول فيها : (مجالسكم مجلس أشرار)، وقال: .. بالله هذا أشلون حجي؟ فأجبته بأنني أقصد مجلس الأمن، وليس مجلس الأمة، فقال: ليش آني غشيم هذا الحجي ما يعبر علي... فسكت، ثم أعاد إليّ المجموعة، وغادرت بدون أن يعاقبني الباشا . لكن خليل إبراهيم الذي بقي في غرفته بعد خروجي، قال لي: (الباشا تأكد انت مو شيوعي، وصار معجب بيك هواية)، فقلت له: أرجوك أن تشطب اسمي من برامج الإذاعة، وقد خفت على

نفسي كثيراً . وفعلاً؛ لم أذهب إلى الإذاعة في الأربعاء الذي تلا الحادثة، بالرغم من إذاعة اسمي وموعد برنامجي في ذلك اليوم. لكن جريدة الأهالي هاجمت الباشا في اليوم التالي، وقالت إنه ذهب إلى الإذاعة لإسكات أصوات الحق المتمثلة بالأدباء والشعراء . فازددت خوفاً، وشعرت أن عدم ذهابي هو السبب في ذلك، وكي لا تتطوّر الأمور أكثر، ذهبت في الأسبوع التالي، وأنشدت مقال (انعل أبو الفن لأبو أبو الفن) .

و يضيف عزيز :- بعد ثورة 1958، حدثني د . مصطفى جواد قائلاً: (كنت عند نوري باشا في أحد الأيام، ومصادفة أدار مؤشر الإذاعة، فسمع مقالك (الفن)، وتابعه بكامله، لكنه قال عندما انتهيت (شوف شوف ابن ال .... دايشتمني) .

وضحكت، كما ضحك د . مصطفى جواد والأستاذ عبد الحميد العلوجي الذي كان يشغل معي نفس الغرفة في وزارة الإرشاد .

ماحكاية صاحب الهاتف 85385 ؟!

❖ وماهي حكاية استدعائك من الإذاعة بعد ثورة 1958، عبر إذاعة رقم هاتفك (85385) ؟

- لم تكن ثورة تموز 1958 مفاجأة للكثيرين، بل كانت متوقَّعة على الأقل بالنسبة لبعض المثقفين - وأنا أحدهم - وفي صباح يوم الثورة، وأنا في البيت، سمعت مذيع الإذاعة يعلن عن صاحب الرقم الهاتفي 85385 الحضور إلى الإذاعة فوراً، وكان هذا هو رقم هاتفي. وحين وصلت، وجدت عبد السلام عارف واقفاً أمام باب الإذاعة الداخلي، فبادرني بالقول ((وينك، ياعزيز علي؟ هذا يومك اشوفك))، لكني كنت أرتجف ساعتها؛ لأنني لا أعرف ماذا كانوا يريدون مني، لاسيما وأن الوضع لم يستتبّ كلياً وأصوات الرصاص تلعلع في كل مكان .. فوعدتهم خيراً، وعدت إلى البيت؛ كي أكتب مقالي، ورجعت عصر نفس اليوم إلى الإذاعة، وأنشدت مقال (نو)، وقلت فيه :

بالغش والفتنة وبالدس

هواية سمعتوا جلمة يس

ثخنتوها بيزي عاد نو

نو نو لهنانة وبس

عاهدناكم ما اخلفنا العهد وياكم

دارنياكم بالمعروف

صادقناكم وكل هذا العالم عاداكم

عاملناكم على المكشوف

وانتو نكثتوا العهد وخنتوا

وعلتوا على عاداتكم ملتوا

لكن عاد الويل الكم من عدنا الويل

راح نعيد لكم كل كيل بمية كيل

ونشوفكم بالظهرية نجوم الليل

ياخاين شوف الشعب شلون تحمس

وتطوع للخدمة وبوجهك عبس

دخجل من نفسك عاد انجب واخنس

نونو لهنانة وبس

-4-

بعد أن قاطع عزيز علي الإذاعة بعد ثورة 1958، عاد إليها عام 1966؛ ليقدم برنامجاً جديداً بعنوان (في رحاب الفن)، وقد خلق البرنامج ضجة كبيرة في الأوساط الفنية والثقافية لجرأة آرائه .

وقد تناول فيه عزيز علي الكثير من المواضيع المهمة، فشرح كيف تسللت أغاني المواخير – أو الملاهي - إلى الغناء العراقي، وأثرت فيه، وكيف ظهرت الأبوذية والبستة في أماكنها المعروفة ... ثم بين أن المقام العراقي الذي نسمعه الآن لم يكن ذلك المقام الذي عرفه العرب أيام العباسيين، بل دخلت إليه الألفاظ الأعجمية والتركية، وصارت هي الأساس فيه ... كما نادى عزيز علي بتخليص المقام العراقي من الهمهمات والدمدمات، التي يقولها مطرب المقام . وما إن انتهى الجزء الأول من البرنامج حتى بدأت حملة شعواء ضد عزيز علي، شارك فيها الفنانون والأدباء، لاسيما أولئك الذين شعروا أن مصالحهم قد تتأثر بما قاله.

في الحلقة الأولى من برنامج (في رحاب الفن) الذي أذيع في 3 شباط 1966 قال عزيز علي :

لئن كان الغناء مرآة، تعكس صور حياة الأمم والشعوب في ضوء النظم الاجتماعية والثقافية والسياسية التي نعيش في ظلها، وتعكس آمالها وأمانيها، وما تصبو إليه في الحياة، فإن الغناء إلى جانب هذا وسيلة جبارة من وسائل تغليب الآراء والأفكار المرغوب بها، من جهة، وسلاح ماض من أسلحة تقويض الأفكار والآراء غير المرغوب بها، من جهة أخرى .

فإذا كان الأمر كذلك، فليس لنا نحن العرب إلا أن نعلن آسفين في أغانينا هنا وهناك في البلاد العربية أكثرها لا يعبّر عن مشاعرنا وأحاسيسنا، في هذه المرحلة، ولا يعكس ميولنا وهمومنا ..

أسباب تدهور الغناء

وأضاف عزيز علي :

أسباب جمود وتدهور الغناء عندنا قائلاً:

هناك عدة أسباب جعلت أغانينا تتخلف عن مسايرة ركب حضارتنا وتقدمنا، أبرزها :

1- أن كلمات أكثر أغانينا ما كان ينظمها وينغّمها غير حفنة من الأميين وأشباه الأميين .. فلا غرابة أن نرى أفقها محدوداً إلى درجة ملحوظة .

2- تحريم اختلاط الجنسين في مجتمعنا إلى عهد قريب، وعزل المرأة عن الرجل، كان له الأثر الكبير في التحلل الذي شاع بتعابير بعض أغانينا بهذا الشكل المخجل المفضوح .

3- ولا ننسى أن الاستعمار حاول أن يحكم معنوياتنا، ويشيع روح التخاذل في المجتمع، وهي نتيجة انعكست في كلمات وأنغام أغانينا المثقلة بالبكاء والنواح.

ثم دعا عزيز علي في برنامجه :

كل الشعراء والأدباء للمساهمة الفعالة في رفع مستوى أغانينا، وأن ينظروا إلى الفن على أنه عالم له رسالة سامية ونبيلة، وليس شتيمة، أو سبّة للإنسان . والواجب يدعونا - كما قال — إلى غناء، يعبّر عن واقعنا، وينقل لأبنائنا وللعالم مشاعرنا وأحاسيسنا وآمالنا .

مغنيات، بس بالاسم

في الحلقة الثانية في 9 شباط 1966 قال عزيز علي:

- شخّصنا سابقاً أن الأغاني كان يعدّها وينتجها للاستهلاك المحلي نفر معين من الأميين، الذين كانوا يعشعشون في المواخير والملاهي الرخيصة، وغالباً ما كانت هذه الأغاني تُعدّ لحساب مَن كن يسمّين أنفسهن بمغنّيات، وهن لسن كذلك .

ومن الطبيعي أنهن يعرضن الغناء والجسد عبر الرقص؛ ليستمتع به الحاضرون . كذلك كان الذين يلحّنون (وينغّمون بعبارة أصحّ) هذه الأغاني الرخيصة يختارون الإلحان التي تهز (الوسط)، وليس الوجدان، ولا همّ لهم سوى الربح المادي على حساب القيمة الفنية للغناء نفسه .

لذلك ليس غريباً أن نرى هذا الهبوط والانحلال في أغانينا . وعزيز يفرق بين اللحن والتنغّم ... فالأخير هو عبارة عن مدّ الكلمات وترديدها بالتواءات صوتية، قد ترتفع أو تخفض .. وقد تقوى أو تلين بدون مراعاة لمعاني

الكلمات، أو حتى لنطقها مثال (مثل ماح .. ما .. ماح)، ثم يكمل المطرب (حر .. حرمت ..) إلخ، ويقصد بالقول (مثل ماحرمت نومي) وهكذا يشوّه معنى الكلمات في الأغنية الواحدة لمسايرة النغم ! في حين أن التلحين هو في واقعه ترنيم الكلام وترتيله بتوافق وانسجام ترتيلاً يعبّر عن معاني الكلمات بالنسبة لمواضعها مع مراعاة جانب التطريب والتجويد .

كما تحدث عزيز علي عن الأبوذية وكيفية نشأتها في ريف العراق الجنوبي، وحلّل أسباب الحزن في هذا اللون من الغناء .. وقد انتشر هذا الغناء حتى في المدن، وبات أهل المدينة يردّدون بكائيات هذا الغناء حتى في الأفراح والأعراس .. وهذا أمر عجيب- على حدّ تعبيره- فإذا كان الفلاح يغني بحزن نتيجة لظروفه وطبيعة عمله . فما بال مطرب المدينة الذي يعيش في حياة هانئة قياساً لابن الريف .

في الحلقة الثالثة من برنامج في رحاب الفن الذي أذيع في 24 شباط 1966 قال عزيز علي :

مسالة الآهات والونات والحسرات في أغانينا ... لا سيما تلك الأغاني التي تذاع في الأعياد وغيرها

طالبت بإيقافها، بسبب عدم ملاءمتها للظروف المحيطة .. وأضاف :- أن الأعداء فقط هم الرابحون من عويل أغانينا، وهم يتخذون منها سلاحاً ضدنا، ويسيؤون إلينا من خلال تشفّيهم وشماتتهم بحالتنا الاجتماعية التي تعرضها أغانينا .

وعن المقام العراقي قال عزيز علي :

المقام يعني السلم الموسيقي للقطعة الغنائية أو الموسيقية، وحالياً – عندنا – يعني القطعة الغنائية التي تنساب أنغامها التواءات صوتية معينة، وبأسلوب معين ثابت .

والسلم الموسيقي المتعارف عليه في العالم يتألف من سبع درجات، أو سبعة أصوات رئيسية، يضاف إليها جواب الصوت الأول، ويرمزون إليه بحروف أو مصطلحات حرفية معلومة .

أما في الشرق العربي؛ فهذه الحروف معروفة بأسماء أعجمية، وكل واحد منها يمثل مقاماً، وهي ((يهكاه – عشيران – عجم ام عراق – رست – دوكاه – سيكاه – جاركاه – نوى)).

يقابلها بالرموز العالمية :

صـول – لا – سـي – دو – ري – مـي – فـا – صول).

وأضاف: – المهم أن ما نسمعه من مقام، هو ليس مقام العباسيين، ومقامنا الحالي معظمه انحدر إلينا من أصول تركية وأعجمية . والدليل أن أبرز مَن غنى المقام منذ ما يقارب 160 سنة هم أتراك وعجم: منهم ملا ولي) التركماني وإبراهيم نجيب ابن شقيق عمر باشا التركي والي بغداد آنذاك وشلتاغ وهو تركي أيضاً، والذي يدقق في المصطلحات المقامية يرى الجانب الأعجمي فيها مثل عجم عشيران أو همايون أو دشت وغيرها . ثم جاء بعد ذلك القندرجي وأبو محمد وأبو النيص ورحمين نفطار وغيرهم، وهؤلاء كانوا أميين .. لذلك كانوا أعداءاً للغة العربية، فما وضعوا حساباً للوزن والتركيب واللهجة في أداء المقام، وكانوا لا يهتمون بالكلام، مثلما نرى اهتمامهم بالأنغام . كما كانوا يجهلون العزف على آلة موسيقية . وبالنظر إلى أن بعض المقامات يجب أن تتصدرها مقدمة موسيقية تمهيداً للغناء، راح بعضهم ممن لا تتوفر في حفلته آلة

موسيقية إلى أن يضطر إلى الترديد بصوته همهمات ودمدمات، يقلّد بها أنغام المقدمة الموسيقية ! حتى يستطيع أن يضبط الدخول بالنغم . وعلى مرّ السنين، صارت الهمهمة والدمدمة جزءاً لا يُجتزأ من المقام، وصارت من صلبه، وأطلقوا عليها اسم (تحرير) .

وأشار لما كان ما تحدثت به يعود إلى عهود ماضية، فأرى أن الوقت قد حان لتطوير هذا الأمر، ونبذ هذه الهمهمات، وتخليص المقام من الألفاظ الأعجمية والتركية والإبقاء على ما موجود فيه من ألفاظ عربية .

في الحلقة الرابعة من برنامج في رحاب الفن الذي أذيع في 7 اذار 1966 أكد عزيز علي على ضرورة تحرير المقام من كل عيوبه، لاسيما ما يخصّ الهمهمات والدمدمات بعد أن توفرت الآلة الموسيقية .

كما أشار عزيز إلى دور القبانجي في تطوير المقام، وتخليصه من الألفاظ الطارئة عليه من الخارج، لكن جهود القبانجي الفردية سوف لا تثمر عن شيء، إذا لم تساندها حركة قوية من الجميع، للتعاون على اجتثاث هذه الأمراض من المقام.

وبعد انتهاء طروحات عزيز علي، التهب جو الغناء، وثار جدل واسع بين الفنانين والمثقفين وحتى رجال السياسة أيضاً . فرفض المقاميون رفضاً قاطعاً آراء عزيز علي، ولم يتوقفوا عند حالة الرفض، بل كما قال عبد الحميد العلوجي (لقد نزلوا إلى الساحة وجبة واحدة، يمسك كل منهم الخنجر باليمنى وباليسرى قنينة من خمر هبهب !) .

وعن سبب ذعر هؤلاء، يقول عزيز علي :

1- مادام المقام سبباً من أسباب الرزق لمحترفي غنائه، فهم مسؤولون بحكم مهنتهم عن حمايته، ولاسيما وقد دخل في روعهم أن عزيز علي يدعو إلى إبعاد هذا اللون من الغناء عن الإذاعة والتلفزيون.

2- اعتبر أساتذة المقام ومدرّسوه آراء عزيز علي نسفاً لأمجادهم، التي قامت بعد حياة طويلة، فليس معقولاً أن لا يلتزم هؤلاء جانب الصمت إزاء رأي قد يؤدي بمكاسبهم، وقد ينقلهم من المنصة إلى الرحلة ! .

3- إن للهواية في نفس الإنسان صفة التقديس، ولطالما أقدم بعض الهواة على ارتكاب حماقات في سبيل

الحفاظ على هواياتهم، ومما لا شك فيه أن للمقام في بغداد هواة، ألفوا هذا اللون من الغناء، فأحبّوه .. فلا غرابة أن ينبري هؤلاء للتصدي لعزيز علي .

4- من المعروف ان محترفي المقام (باستثناء بعضهم) أميون فلا عجب ان لاتسمح لهم مداركهم باستيعاب المفاهيم العلمية، التي تضمنتها دعوة عزيز علي.

أما أبرز ردود الفعل التي قيلت ضد آراء عزيز علي؛ فهي :

❖ القبانجي أيد آراء عزيز علي بخصوص ما ذهب إليه بشأن قراء المقام ملا عبد الرحمن التركماني وجماعته. لكنه من جانب آخر، أكد أن المقام العراقي الحالي هو نفسه الذي كان يغنّى في العصر العباسي، لكن القبانجي لم يستند بكلامه هذا إلى مرجع تاريخي أو علمي يؤكد صحة آرائه .. كما دافع عن جهل وأمية قراء المقام قائلاً: إن العراق حكمه البويهيون والسلاجقة، فكيف يكون حال الأدب، ياترى ؟ وكما قيل (ليس على المطرب أن يعرب !).

❖ الأستاذ جعفر الخليلي أيد عزيز علي في دعوته لتطوير المقام العراقي .

❖ الأستاذ أحمد حامد الصراف هاجم عزيز علي حول رأيه الخاص بأعجمية المقامات، لكنه اتفق معه في خطوط أخرى .

❖ الدكتور علي الوردي انصبّ وجه الاعتراض لديه على نقطة ثانوية هي قضية الحزن في الأغنية .. ثم عاود الوردي بعد أسبوع؛ ليعلن أنه يوافق على الكثير مما قاله عزيز علي، لكنه لفت نظره إلى أن تطوير الأغاني ليس خاضعاً للإرادة الفردية .. فالأغاني ظاهرة نفسية واجتماعية، ربما صح القول إنها تتأثر بقانون العرض والطلب .

❖ الأستاذ هاشم الرجب قال :

إننا كعراقيين لا تراث فني لنا غير المقام ... وأنا مع اعترافي بأن المقامات ليست كلها عراقية أو عربية، ومع اعترافي بأن بعض المقامات تركية أو فارسية، إلا أننا أدخلنا عليها تعديلات وتطويرات .

ولم يقدم الرجب رأيه في تعريب الألفاظ الأعجمية في المقام، وركز على جوانب ثانوية .. من جهة أخرى، أكد الرجب على أن سبب جمود غنائنا هو

وزارة الثقافة والإرشاد (آنذاك) التي لم تصدر بياناً. تحدد فيه مدة لتطوير المقام العراقي .

رحاب الفن في صحف بغداد

كما ساهمت الصحف البغدادية في الحملة الشعواء ضد آراء عزيز علي، فجريدة (المنار) شنّت حملة عنيفة، وبشكل غير متوقع، وبصيغة انفعالية، قادها نقيب الصحفيين آنذاك الأستاذ (فيصل حسون)، الذي نعت آراء عزيز علي ب (حملة ظالمة) . فرد عليه الأستاذ عبد الحميد العلوجي قائلاً: إنه رأي، لا يتناغم مع بهجة ذلك الصباح .. وهو رأي ظالم.

ثم أجرت الجريدة استفتاء غريباً في 1/ 3/ 1966 شمل الكثير من قراء المواليد أو قراء المقام وبعض رواد المقاهي، إضافة إلى بعض المغنّين والمهتمّين بالغناء مثل شعوبي وعفيفة إسكندر وعبد الوهاب بلال . وكانت ردودهم انفعالية ضد آراء عزيز علي .

أما جريدة كل شيء؛ فقد ثمّنت آراء عزيز علي بقلم المرحوم الأستاذ عبد المنعم الجادر .. كما أجرت

استفتاء، أيد فيه معظم المستفتين آراء عزيز علي، ومن المشاركين في الاستفتاء الأساتذة جعفر الخليلي والدكتور علي الوردي ومحمود العبطة وأحمد الصراف والعلوجي وخالص عزمي وعبد الرزاق الهلالي والقبانجي وهاشم الرجب .

في حين استذكرت جريدة (البلد) آراء عزيز علي بكلمة للسيد عبد الوهاب بلال، دعا فيها التلفزيون إلى عدم السماح لعزيز بممارسة نشاطه الفني فيه .

ثم عادت الصحيفة بعد فترة لتنشر كلمة للأستاذ جلال الحنفي، أرسلها من الصين، أطرى فيها على آراء عزيز علي .

كما كتب السيد عبد الوهاب بلال في جريدة الثورة العربية أيضاً .. مقالاً، هاجم فيه عزيز علي هجوماً عنيفاً .. وكانت النتيجة أن انتهى برنامج في رحاب الفن !

-5-

في هذا الباب - والذي سيليه، استضفنا بعض المعنيين بشؤون الغناء والموسيقى ممّن عاصر الفنان الكبير عزيز علي للتحدث عن مسيرته كإنسان وفنان،

وعن الذكريات والمواقف التي يختزنونها في ذاكرتهم عن هذا الرجل الذي شغل بال العراقيين دهراً طويلاً من الزمان .

وضيفا هو الناقد الموسيقي - عبد الوهاب الشيخلي – الذي تحدث بإسهاب عن علاقته بعزيز علي، وعن ذكرياته التي عاشها معه منذ عام 1948 (اللقاء أجري معه قبل وفاته عام 2007.

عبد الوهاب الشيخلي
عزيز علي كما عرفته

يقول الشيخلي وأنا في المدرسة الابتدائية كنت أحفظ الكثير من أغاني محمد عبد الوهاب وعبد الغني السيد وزكية جورج وأسمهان، لكنّ؛ عندما استمعت إلى الفنان عزيز علي من الراديو والكرامفون في عامي 1937و 1938 تعلّقت بأسلوبه الفريد في الأداء وألحانه الرائعة وكلماته المنتقاة بعناية ونقده الاجتماعي، وكان الناس صغاراً وكباراً ينتظرون الوقت

المخصّص له في الإذاعة، ولصغر سني، كنت أسمعه عن طريق المصادفة، ولا تزال بعض أقواله ومونولوجاته ترن في أذني منذ الأعوام الأولى لمباشرته في غناء تلك الألحان الرائعة .

وأقول الألحان لأنني كنت ولازلت حتى يومنا هذا أتاثر باللحن قبل الكلمة، وكان الصوت ونبراته وحسن أدائه هو الذي يصل إلى القلوب، ويؤثر في الناس رغم عدد الآلات الموسيقية المصاحبة .

وبعد سنوات، اختفى عزيز علي من الإذاعة. وكنت أسال هنا وهناك: هل هو حي؟ أم أنه رحل عن هذه الدنيا؟. وكانت المقاهي تدير أسطواناته الاجتماعية الرائعة مثل (القبول وعال العال وشوباش وأمان أمان من هالزمان وعيش وشوف ودكتور وبستان) . وفي أقواله الأخيرة، نحى منحى سياسياً، وراح يعالج ما كنا نعانيه من أسباب أدت إلى ثورة مايس والحرب مع الإنكليز في عام 1941، وفي هذه الأقوال، نجده قد استخدم مقام الحجاز في (أمان أمان) والرست في (عيش وشوف) والنهاوند في (دكتور)، ورغم بساطة التحولات النغمية في تلك

الأقــوال الحكيمــة، إلا أنهــا تــدل علــى براعــة وقــدرة وموهبــة فــذة تعتمــد علــى السليقة في اختيــار البدايات المناســبة والقفــلات النغميــة، الــتي لا تخــدش الســمع، والمزاوجة بـين الأنغام الصغيرة والكبيرة، كما حدث في (دكتور) الذي اعتبره قمة في ميدان التلحين والانتقالة النغمية من النهاوند (الصغير) إلى مقام العجم (الكبير) .وقد سمعت الفنان الراحل (القبانجي) يثني على عزيز علي مؤكداً أنها التفاتة لحنية بارعة .

لقاء في كربلاء

وبعد أن طال غياب عزيز علي - يقول الشيخلي- وأثنــاء تواجدي في محافظــة كــربلاء في عــام 1948 زرت أحد محلات بيع الأحذية، وإذا بي أمام عزيز علي، الذي ظهر أنه صاحب المحل، فلم أصدق أن هذا الذي يقف أمــامي هــو نفســه الــذي كــان ينقلني إلى عــالم الألحــان الساحرة، رغم انه لا يعترف بأنه يهتم بالتلحين، ولا أدري إن كــان ذلــك مــن بــاب التواضــع. وقــد التقطنــا صــورة للذكرى لكني لم أشاهدها ؛ لأنها كانت فاشلة .

وتشاء المصادفة أن ألتقيه ثانية، وفي العام نفسه في إذاعة بغداد، وتعارفنا مجدداً، ومنذ ذلك الوقت. لم نفترق إلا لماماً . شاهدته يضع أجمل وأروع أقواله منذ عام 1948 وحتى آخر مونولوج وضعه في عام 1958، ويقول فيه (كل حال يزول) . ولفرط إعجابي به، كنت أقف مع كورس الإذاعة؛ كي أردد معهم بعض أقواله الشهيرة، ومنها برنادوت وصلّ عالنبي وبستان .

المعجبون يتجمهرون خارج الإذاعة

وأضاف الشيخلي: -كان عزيز علي يتأخر في الخروج من الإذاعة تحاشياً الحشد الهائل من الناس الذين يتجمهرون خارج الإذاعة، وينتظرون مشاهدته، ورغم تأخره فإن عدداً منهم لا ييأس من الانتظار، وعند خروجه، يندفعون نحوه لمصافحته وتقبيله، لكنه يتخلص من الموقف بالاندفاع نحو السيارة التي تنتظره؛ حيث يذهب إلى بيته وعائلته. وكان يقول لي دائماً : إنني لا أملك سوى بيتي وأولادي، وبالرغم من ذلك فقد طفله البكر (عمر في الحرب العراقية

الإيرانيـة)، ولم تـدمع عينـاه؛ لأنـه كـان يعتصـر الألم والحزن في قلبه. وبينما كان صوت البكاء يصدر عن النسـوة في البيـت، أمسـك بيـدي، وقـال: فلنـذهب إلى السينما، وعرفت أنه متأثر جداً لوفاة ابنه، لكنه أراد أن يبتعد قليلاً عن أجواء النواح والبكاء .

تأسيس مدرسة موسيقى الأطفال

وأشـار الشـيخلي: كنـت ذات يـوم أقـوم بمهمـة تـدريس النشـيد والموسيقى في إحدى مدارس القطـر، وإذا بي أشاهد الفنان عزيز علي ومعه أستاذ أجنبي، وبعد أن انتهى من اختيار بعض الطلبة، طلب مني مراجعته في دائرة السينما والمسرح، وهناك عرفت أنه ينوي تأسيس أول مدرسة لتعليم الموسيقى للأطفال على أسس علمية متينة . وقد زار لهذا الغرض الاتحاد السـوفيتي، وتمـت الاسـتعانة بـبعض أسـاتذته، ثـم اختارني معاوناً له في المدرسة .

وبـدأنا العمـل، وحضـر الأسـاتذة الـروس . أمـا الأسـاتذة مـن العـراقيين؛ فقـد أجريـت لهـم اختبـارات للتعـرف علـى قـدراتهم في تعلـيم الأطفـال الآلات

الموسيقية، وقد فشل بعضهم، بالرغم من أنهم كانوا يعملون في الفرقة السمفونية ! وأخذنا نعمل ليلاً ونهاراً من أجل الوصول إلى النتائج المرجوّة خلال مدة زمنية قياسية . وقد تعرّفت على عزيز علي بصورة أفضل، بحكم العمل معه عن قرب، فوجدته عصبي المزاج، وقد أتعب نفسه، وأتعبنا معه، لكننا رغم كل شيء استطعنا أن نصل إلى نتائج ملموسة .وقدمنا حفلات غنائية وموسيقية، أدهشت كل مَن حضرها . وسجّلنا للتليفزيون عدداً، لا يستهان به من المقطوعات الموسيقية العربية والأوربية .

وأوضح :-لاشك أن تجربة الفنان عزيز علي في هذا الميدان هي الأولى من نوعها؛ لأنها استندت على أسس علمية صادقة، وكان اختيار الطلبة يتم وفق شروط مشددة (وهنا أتحدث عن مدرسة الموسيقى قبل دمجها مع مدرسة البالية) . وبعد أن ترك عزيز علي العمل بسبب تقاعده، واصلنا المسيرة في هذه المدرسة إلى عام 1974، وسلمنا الرسالة للآخرين بعد ست سنوات من العطاء والجهد، من أجل موسيقى رفيعة وفن يحمل في ثناياه روح المستقبل .

محطات في الذاكرة

ومن الذكريات التي تحتفظ بها ذاكرة الناقد الشيخلي هذه المحطات :

❖ قدم عزيز علي ذات مساء حفلة في نادي الكمرك، وكان (صباح بن نوري السعيد) أحد الحاضرين، فاستفزّته أقوال عزيز علي، فتوجه إليه، وطلب منه أن يكتب مونولوجاً عن المهرّبين؛ لأنه – أي صباح – أكبر مهرب في العراق ! فاعتذر عزيز، وتخلّص منه بلباقة خاصة، بعد أن لحظ على الصباح أنه قد شرب كثيراً من الخمرة في تلك الليلة، وعندما ذكرت هذه الحادثة أمام عزيز علي قبل أشهر، أنكرها، ولم يعد يتذكرها، رغم أنها حدثت أمام عدد من الحاضرين الذين وقفوا في وجه صباح في تلك الليلة .

❖ كنت أتمشى ذات مساء في شارع أبي نؤاس، وإذا بالناس تتراكض، وتسرع نحو المقاهي المنتشرة على جانبي الشارع، وسمعت بعضهم يتلفّظ باسم عزيز علي، فسألت أحدهم أين هو عزيز؟ فأجابني: سوف تبدأ حفلته بعد قليل في الإذاعة، وكان مشهداً غريباً، ولم يتكرر مع أي فنان عراقي، باستثناء عزيز علي .

❖ في 29 حزيران من عام 1957 أجريت مع الفنان عزيز علي حواراً فنياً، نشر على صفحتين في مجلة الأسبوع، وكان مبتعداً أو مبعداً عن الإذاعة، وقد تحدث بإسهاب وبصراحة عن أسباب ابتعاده مؤكداً أن الإذاعة في ذلك الحين تميل إلى أن تقدم الأغاني الهابطة، وجاء بأمثلة من اغنيات زهور حسين مثل (صلوات الحلو فات و خالة شكو شنهو الخبر دحجيلي).

وقال: يخطىء مَن يظن أن الإذاعة ليست سوى دار تثقيف وتهذيب حسب، ويخطئ مَن يظنّ أنها مجرد دار لهو وتسلية ؛ لأنها في الحقيقة مدرسة قائمة بذاتها؛ لبثّ أفكار آراء خاصة بأسلوب خاص، وهي سلاح ذو حدين إذا ما أحسنت الجهة المختصة استخدامه لتقويض أفكار معينة، أو إقامة فكرة، أو رأي معين .. الإذاعة جهاز فعّال يعود بالنفع الجزيل على الوطن والأمة .

-6-

من أسرار الحركة الفنية في العراق

كيف أقصى عزيز علي الشبلي من فرقته؟

بعد نشر فصول من ملف عزيز علي في مجلة ألف باء، كتب إلينا الباحث والمؤرشف الراحل أحمد فياض المفرجي هذه المقالة التي توثق لدور عزيز علي في المسرح والسينما . يقول المرحوم المفرجي :-

حلت المسرة في نفوسنا، ونحن نلحظ هذا الاهتمام الجاد والصادق بفنان عراقي كبير، لا يزال يعيش بيننا، ويواصل الإبداع منذ ما يقرب من ستة عقود، ذلكم هو الأستاذ الفاضل عزيز علي .

وكان من أكثر أشكال ذلك الاهتمام غنى الحلقات الست التي حققتها (ألف باء) الغرّاء التي اعتدنا منها مبادرات كانت ومازالت تمد ملفاتنا التوثيقية بالموضوعات التي تكشف فيها صفحات من تاريخنا الحديث، وتعرفنا بشخصيات الإبداع المتميزة في ميادين الفن والأدب .

وكموثـق: تابعــت تلــك الحلقــات، وتأملــت في سطورها بغية الوقوف على الجوانب التي مر عليها كاتب الحلقات الزميل قحطان جاسم جواد . قد دهشت حين افتقدت فيها الإشارة إلى (عزيز علي) الفنان المسرحي الذي كان عضواً مؤثراً في (الفرقة التمثيلية الوطنية)، التي أسسها الفنان الرائد الكبير حقي رشيد الشبلي في نيسان 1927، والتي انضم إليها عدد كبير من الشباب الذين استهواهم المسرح، إثر زيارات الفرقة العربية مثل فرقة جورج أبيض وفرقة عزيز عيد وفاطمة رشدي في النصف الثاني من عشرينات هذا القرن .

ومن تلك الأسماء التي عملت مع الشبلي في فرقته فاضل عباس بهرام بك وفوزي محسن الأمين وسليم بطي ومحيي الدين محمد وغيرهم من الفنانين الذين رسموا معالم الحركة المسرحية في العراق، واغنوا مسيرتها وأسسوا تقاليدها .

ويبدو أن أولئك الفنانين الأعضاء في (الفرقة التمثيلية الوطنية) كانوا موزعين إلى كتلتين، وكانوا يخوضون صراعاً غير ظاهر للعيان، ولم ينكشف إلا

بعد مجيء فرقة عزيز عيد إلى بغداد، ومن ثم؛ سفر حقي الشبلي إلى القاهرة، بصحبة الممثلة السيدة فاطمة رشدي المعروفة بجمالها وأناقتها ! والتي أفادت في مذكراتها أنها توسطت لدى الملك فيصل الأول، وأقنعته بتبنّي فرصة (حقي أفندي الشبلي) رسمياً، وذلك بإيفاده سنة إلى مصر، لمشاهدة العروض التمثيلية، والتعرف على الحياة المسرحية في المملكة المصرية (آنذاك) .وبالمناسبة، وقبل الاستطراد إلى علاقة عزيز علي بالمسرح، نشير إلى أن (أقوالاً كثيرة) قيلت وراء سفر حقي الشبلي مع فاطمة رشدي التي لا تزال حية اليوم، تمتلك قلباً ينبض، وعروقاً لا ترتجف.

عند سفر الشبلي وغيابه عن بغداد، طفح ذلك الصراع الذي كان يعتمل داخل (الفرقة التمثيلية الوطنية)، وظهر للعيان .. واتخذ شكل انشقاق في صفوف الفرقة، قاده الفنان عزيز علي الذي جيّش أنصاره ذات يوم، وأفصح لهم عن قراره، الذي لابد من تنفيذه قبل عودة الشبلي من القاهرة .. وكان ذلك القرار يهدف إلى إقصاء الشبلي عن رئاسة الفرقة، وإبعاده نهائياً .

وبالفعل؛ تحقق ذلك، وتمكن عزيز علي من امتلاك (الفرقة التمثيلية الوطنية)، وأصبح رئيساً لها. وكان من جراء ذلك خروج عدد من الأعضاء، فمنهم مَن انتسب إلى فرقة أخرى، وبينهم مَن شكّل فرقة جديدة، مثل الفنان محيي الدين محمد الذي كوّن (الفرقة العصرية).

وبعد ذلك الحدث الفني المثير في ذلك الوقت، وقبل مضي بضعة أسابيع على وقوعه، وصلت الجهات المختصة في بغداد مذكرة موقعة من الأستاذ الشبلي يطعن فيها بالإجراء اللاقانوني، الذي أقدم عليه الأستاذ عزيز علي وأنصاره ! وفي حينه، أحاطت هذه المذكرة تساؤلات حول الكيفية التي حصل فيها الفنان الشبلي، وهو في القاهرة على تفاصيل إبعاده عن الفرقة، وبالسرعة التي كان تحققها نادراً في بريد ذلك الوقت.

واليوم، وبعدمضي أكثر من ستين سنة، نكشف عن جانب من أسرار هذه العملية، وليس كل جوانبها، حيث كان أحد رواد مسرحنا وهو الفنان محيي الدين محمد العضو السابق في (الفرقة التمثيلية الوطنية) قد

أخبرني قبل رحيله قائلاً (أنا الذي كتبت إلى الشبلي، وهو في مصر، وأبلغته بما جرى، ووعدته أن فرقتي - العصرية - موجودة، وبإمكانك العمل فيها عند عودتك إلى بغداد).

أوجز لكم القول: إن الشبلي عندما عاد بصحبة الممثل الفكه المعروف بشارة واكيم، انضم إلى الفرقة العصرية التمثيلية، وأخرج لها الشبلي العديد من العروض، ومثّل فيها .. كأنها فرقته حتى إن الصحافة والجمهور والفنانين كانوا يطلقون عليها (فرقة حقي الشبلي). وفي هذا الوقت 1930- 1934 تألق الشبلي، وأصبح نجماً معروفاً في ألوية محافظات العراق جميعها عبر زياراته إلى مختلف الأقضية والنواحي في الجنوب والشمال . ومن خلال حضور كبار رجالات الدولة - آنذاك عروضه المسرحية مثل رؤساء الوزارات والوزراء وأعيان والنواب والعوائل الراقية ! .

أما الأستاذ الفنان عزيز أفندي علي؛ فلم يمكث طويلاً في الميدان المسرحي؛ حيث تنازل في شهر آب عام 1930 عن رئاسة (الفرقة التمثيلية الوطنية) إلى الفنان (إميل أفندي جبوري)، وواصل اندماجه بالعمل

السياسـي .. وطـوّر موهبتـه المعروفـة في الموسـيقى والغنـاء، إلى أن اسـتقر بـه المطـاف عنـد (المونولـوج)، وصار علماً بارزاً من أعلامه في العراق ... كما عرفه أبناء جيلنا طوال الخمسين سنة الأخيرة .

إن عزيـز علـي واحد مـن فنـاني العـراق المبـدعين والمتميـزين في ميـدان الغنـاء: مثـل محمـد القبنجـي ويوسف عمر وناظم الغزالي ورضا علـي ومحمد عبد المحسن ومائدة نزهت وحضيري أبـو عزيـز وغيرهـم، وكلٌّ في لونه الذي يجيده .

سطور بخط يده

هذه الأسطر بخط يد الفنان الكبير (عزيز علـي)، كتبها كإضافة للحديث الذي سجّلناه معه .. ويتبيّن من الخـط والميلان الواضح في الخطـوط والكلمات بسـبب الرعشـة الشـديدة في يـده؛ بحيـث لا يسـيطر علـى أصابعه أثناء الكتابة .

في هذه الأسطر يوضح الفنان الراحل كيف كانت تطلق الاتهامات ضد السياسيين وغير السياسـيين، ثم

سرعان ما يتبين بطلان ذلك، كما يتضح من الحكاية التي سردها في أوراقه .

والغريب أنه اتهم بالشيوعية في أكثر من مرة، ثم قام الشيوعيون باتهامه بكونه بعثياً، ثم يتضح بأنه لم يكن شيوعياً، ولابعثياً، بل كان رجلاً وطنياً مستقلاً، ولم يتجه أي اتجاه سياسي .

كما يظهر من سطور عزيز علي أنه كتب العديد من الكلمات باللهجة الدراجة (العامية)، كما كان يكتب أقواله أو مونولوجاته بالفصحى. وكانت كلماته عبارة عن سؤال وجواب، وهي كما يلي: -

❖ سبق أن تعرضت في العهود الماضية بشكل أو بآخر للسجن أو للتوقيف بسبب أقوالك الملحنة (المونولوجات) التي كنت تذيعها من إذاعة بغداد .. فهل لك أن تشرح للجيل الجديد ظروف تلك الحالات وملابساتها، لأن شباب اليوم لا يعرفون شيئاً عن ما عانيته، وكم مرة سجنت أو اعتقلت بسبب إذاعتك تلك الأقوال ؟

- تسألني كم مرة ؟ مو سبق أن ذكرتلكم وشرحت بعض الحالات اللي تعرضت بيها للسجن أو للتوقيف

أو للمحاكمة أو للاستجواب، زين هسّه راح أرويلكم وحده لكم من ذيج الحالات ما جنت ذاكرها إلكم !

جان يوم خميس والدوام بوزارة الصناعة سنة 1959 قريب ينتهي . يومها كان الوزير محيي عبد الرحمن والمدير العام وحبيب عبد المجيد وجنت ملاحظ إدارة بالوزارة، وغرفتي جانت قريبة من الباب الرئيسية للوزارة من شفت اقتحموا الوزارة خمسة أو ستة شرطة، يتقدمهم معاون شرطة، وسدّوا باب الوزارة من الداخل .

وزارة الصناعة جانت ذيج الأيام بناية قديمة صايرة بالركن الشمالي من ساحة التحرير، يعني مقابل بناية وزارة الثقافة والإعلام، سابقاً هسّه إنبنت مكانها فد عمارة عالية .

طلعت من غرفتي بسرعة، وكتلة معاون الشرطة آني ملاحظ إدارة الوزارة، خير إن شاء الله أكُدر أقوم لكم بخدمة ! كلي جينا نلقي القبض على الموظفين البعثيين المكتوبة أسماؤهم بها لقائمة . ولوّح لي بفد ورقة، شايلها بيده كتله، لكن الدوام خلص والموظفين أكثرهم طلعوا . كلي سيد إني جاي بواجب، لا تلهيني .

كتله طيب آني اسمي عزيز علي، وأريد أطلع أروح لبيتي، شلون راح أطلع ؟ فعاين بالقائمة وكال: هي إنته اسمك براس الدستة، ادخل أخي لغرفتك، ولاتفاركها . وأمر واحد من أفراد الشرطة يكودني لغرفتي، ويوكف ببابها ! كتله، لكنْ: أخي آني مو بعثي.. كلي هذا موشغلي تفضل أكعد بغرفتك ؟

وخلال نص ساعة أو أكثر جابوا لغرفتي عشرة من موظفي الوزارة مهندسين ومدراء أقسام، أتذكر منهم مصطفى الوهب والمدير العام المهندس علي العسكري وغازي عمران والمهندس سعدون قصاب والمدير العام محمد حسن جمعة وفاضل المرسومي بها الأثناء تجمهروا خارج بناية الوزارة عدد كبير من الغوغاء يصرخون الموت للبعثيين .. بعثية ماكو زعيم إلا كريم . الظاهر جم واحد من لجنة صيانة الشيوعية اللي تشكلت بالوزارة (اللي سمّوا أنفسهم لجنة صيانة الجمهورية) جانوا طالعين برة وهمة اللي هيجوا الشارع علينا .

والفضل بنجاتنا، ذاك اليوم، من هالمهوسين يعود للشرطة أنفسهم؛ لأن تبين إلينا بعدين أن معاون الشرطة اتصل تلفونياً برؤسائهم فهمهم الوضع،

فأرسلو لنا باص أبو 18 مقعداً، ووكفوه بالباب الخلفية لبناية الوزارة (فد باب حديد زغيرة جانت على شارع الخيام)، وطلعونا الشرطة من ذيج الباب بسرعة. وكردسونا كردوس وهمه ويانا بالباص، وطلع بينا الشرطي سائق الباص على شارع الرشيد، ومن شارع الرشيد لشارع الكفاح (شارع غازي)، ووصلنا لمركز شرطة باب الشرجي . وبقينا بالموقف لليل . بالليل جانا ضابط ملازم بالجيش، يرافقه جندي مسلح، أخذنا إحنا خمسة بسيارة باص زغيره، ودار بينا على بيوتنا واحد واحد، وفتّشها، ورجعنا لمركز الشرطة باب الشرجي، شفنا جماعتنا الستة الآخرين هم جانوا ماخذينهم ومفتّشين بيوتهم . وبقينا بالموقف إلى أن صار الصبح، جانا معاون شرطة المركز، وكال لنا بعد المخابرات التلفونية والاتصالات، تقرر إطلاق سراحكم بكفالة، وأخذنا لغرفته، ودزلنا على جايات وصمون وجبن، كال لنا كل واحد يكدر يتصل بأهله من هالتلفون يبعثوله واحد يتكفله .

عاد اتصلت بنسيبي أحمد الألوسي واجة كفلني يعني هم ما خلصت بذيج الفترة من شر الشيوعيين،

- 7-

خاتمة

في حواري مع عزيز علي استحلفني أن لا أنشر بعض الأشياء التي قالها إلا بعد موته، ربما لأنه يشعر أنها تقلّل من قيمته لدى الناس، وبعضها لا يمكن البوح بها، لأنه تحدث عن النظام السابق، وكيف طلب منه الرئيس صدام حسين عبر آخرين أن يغني لنظامه، لاسيما في فترة الحرب العراقية الإيرانية أو بعدها أثناء غزو الكويت، ثم الحرب الخليج الأولى عام 1991، ثم أعاد الطلب لعزيز علي بان يغني، لاسيما أنه كان محاصراً من الأمريكان والدول الأوربية أثناء فترة الحصار . لكن عزيز علي أبى ذلك، ولم يغن للنظام السابق رغم الاتصالات به لغير مرة .

من أبرز النقاط التي أثرتها في حديثي معه كانت قضية الماسونية والعثور على ملف له في وزارة الداخلية، ثم الحكم عليه بالمؤبد هو ومجموعة من الأسماء اللامعة في العراق . وبعد استشهاد ابن عزيز علي عمر أعفي عنه من بقية حكمه، وأطلق سراحه،

وقد نشر ذلك في جريدة الوقائع العراقية التي تنشر قوانين الدولة . . وقد طلب مني عزيز أن لا أتحدث عن ذلك؛ لأن القضية تمسّ سمعته، ولا يريد إثارتها في هذه الأيام، لكنه تحدث لي عن الحقيقة كاملة عن موضوع الماسونية، وطلب نشرها بعد رحيله عن هذه الدنيا ..

عزيز والماسونية

رد عزيز علي على سؤالي حول انتمائه إلى الماسونية، وهو الرجل الوطني، فقال رحمه الله ... لقد جاءني أحد الأصدقاء ذات يوم قبل ثورة 1958، وقال لي ((هناك تنظيم سياسي، يضمّ بعض الرجال المحترمين، ولهم علاقات قوية بأركان النظام الملكي، وهؤلاء بإمكانهم حمايتك من السلطة والسجن والملاحقة)). وبصراحة؛ كنت أحتاج إلى مثل هؤلاء من دون أن أعرف حقيقتهم وحقيقة تنظيمهم، فوافقت، فتمّ اللقاء مع أحدهم.

وبعد عدة شهور، دعاني إلى اجتماع تعريفي مع المسؤول عن التنظيم، فذهبت، وتعارفنا، لكنهم لم يتحدثوا أمامي عن أي شيء سياسي، أو غير سياسي، واكتفوا بالترحيب، ووعدوا بمساعدتي في حال القبض علي، وحمايتي من تعسف السلطة – ثم اتفقنا على موعد للاجتماع القادم. وحيث أزف الموعد، تأجل لعدم حضور المسؤول، فتم تحديد موعد آخريوم 14 تموز، ولم يتحقق الموعد الجديد أيضاً بسبب قيام ثورة 14 تموز 1958 . وبذلك يقول عزيز ((لم افهم من التنظيم أية أسرار أو معلومات أو أهداف .. ثم فوجئت بعد سنوات بالقبض علي بتهمة الماسونية، والانتماء أليها))

.وقد تم الكشف عن علاقة عزيز بالماسونية بعد عام 1968 بعدة سنوات نتيجة لاكتشاف ملفات الحركات السياسية والمنظمات العاملة في العراق. فيبدو أن السلطة البعثية اكتشفت ملفاً خاصا بالماسونية، وتم القبض على الذين وردت أسماؤهم فيها، ومن ضمنهم عزيز علي، وحكم عليه بالسجن، لكنّ؛ بعد استشهاد ولده عمر، صدر قرار، نشر في الوقائع العراقية، يتضمّن إعفاءه من بقية سنوات حكمه .

عزيز علي يطلب عشرة آلاف دينار

من حسن حظي أنني التقيت بالفنان عزيز علي في عام 1991 يوم أجريت معه حواراً مطولاً، تطلب نشره في ملف من ست حلقات، استغرق نشره مدة شهر وأسبوعين، وعلى صفحتين، في كل مرة من صفحات مجلة ألف باء.

وأذكر جيداً يوم لقائي به، وهو المعروف بعناده، ورفضه لكل مغريات الدنيا، وما فيها . في البداية: رفض الحوار لسببين هما : أنه كان واثقاً بأن الحوار لن ينشر، لعلمه ويقينه بأن النظام السابق لا يستريح له ولمونولوجاته، والسبب الثاني في اعتقاده بأني لا أعرف شيئاً عن فنه وحياته لصغر سني آنذاك، لكنّ: عندما كشفت له أنني أخذت موافقة على النشر، استغرب، كما استغربت أنا !!! كذلك تحدثت له عن معلوماتي عنه، فعرف أن في جعبتي الكثير عن حياته ومواقفه الوطنية، فخفف من لهجة الرفض، وبدأت أسرق أفكاره وآراءه خطوة خطوة . ثم اقتنع بإجراء الحوار، لكنه قال ((بصراحة إنك قشمرتني، وجعلتني أحجي لك الكثير من الأسرار)) !

وأذكـر إنـني عرضـت عليـه تسـجيل الحـوار للتلفزيـون أيضـاً مقابـل خمسـة آلاف دينـار، كـان سيدفعها الفنان خالد ناجي، رحمه الله، معدّ برنامج عدسـة الفـن، الـذي كـان يـدير شـركة فنيـة لحسـابه الخـاص، لكـن عزيـز علـي رفـض، وطلـب عشـرة آلاف دينـار، وقـال في حينـه ((أنـا حيـاتي قصـيرة، ولا أظـن سأعيش أكثر من عامين آخرين – لذلك أطلب عشرة آلاف دينـار، قـد أستطيع أن أضمن العيش علـى نحـو جيد، وما تبقى، سيكون للدفن وحفر القبر بعد موتي)) !! لكن المشروع لم يتمّ؛ لأن الفنان ناجي لم يكن يمتلك سوى خمسة آلاف دينار، وكان عزيز علي يمرّ بأزمة حـادة؛ إذ إنـه بـاع منزلـه، واقتطـع منـه غرفـة واسـعة، قسمها إلى غرفة نوم ومطبخ وحمّام، وكان يعيش مع ابنته فقط .

-8-

نماذج من أقوال عزيز علي

الراديو

الراديو نور لفكار

الراديو فتح لبصار

الراديو ينقل لخبار

الراديو يفضح لسرار

مادام ينور لفكار مادام يفتح لبصار

مادام يفضح لسرار يعني يضر الاستعمار

يحيا الراديو

الراديو رمز الحرية الفكرية الراديو ركن من الديموقراطية

الراديو فاضح كل أسرار الدنية ما ظل فد سر ينضم بوجود الراديو

صوته يلعلع بذني وبذنك غصبا عني وغصبا عنك

لا تكدر انته تسد إذني ولا اكدر انه أسد إذنك

مادام عندي راديو ومادام عندك راديو

هاليوم يوم الراديو

الراديو يصبحنة وديمسينة الراديو كلما دانام يصحينة

الراديو يعلمنة ودايقوينة ماجنا نعرف شي لوما هالراديو

اصبح كل شي من عدنة يشوف بعينة ويسمع باذنة

ودايميز اليسرة من اليمنة ويدري بالحرب وبالهدنة

ويقرة الممحي بالراديو ويعرف اسرار الراديو

رحم الله السوة الراديو

الراديو خلة المعلومات مشاعة تتناقلها هالإذاعة وذيج الإذاعة

الراديو من يذيع أخبار اخر ساعة ما يظل واحد ما يتسنط للراديو

يسمع غنه يسمع موسيقه ويسمع ها لأحاديث الشيقة

من أوربا ومن امريكا ومن اوستراليا ومن افريقة

وكل مجان البيه راديو خدم البشرية الراديو

يابابه شسوة الراديو

الراديو منه شرقي ومنه غربي الراديو يحجي فرنجي ويحجي عربي

الراديو ما ظل أغا ولا ظل جلبي ما يسمع كل الأخبار من الراديو

ويكدرهم يسمع أحيانا تعليقات وحجي مبطن

ويكدر يسمع ألوان الفن وبكل فن يكدر يتفنن

فتح لعيون الراديو وشجع لفنون الراديو

كو لو فليحيا الراديو

دكتور

يا ناس مصيبه مصيبتنا

نحجي تفضحنا قضيتنا

نسكت تكتلنا علتنا

بس وين نولي وجهتنا

دلينا يا دكتور

أنا يادكتور وعيالي

مرتي وولدي وأطفالي

ما تمرضنا بكل داء

وابدا ما خذنا دواء

ولا راجعنا اطباء

بس من مدة هالجم سنة

تمرضنا ووكعنا بضنة

بمراض صارت مزمنة

نستنا الراحة والهنة

دكتور !

دكتور دخل الله ودخلك ماتداوينا

دكتور داء اللي بينا منا وبينا

دكتور دتجينا الحمة من رجلينا

دكتور اسكينا العلكم بس شافينا

دكتور امراض البينة ما تفيد وياها كنينة

ولا يفيد الكالسيوم

ولا فوسفات الصوديوم

وبرو مايد البوتاسيوم

ذنـي يفيـدن مرضـى الجسـم وحنـا مـومن هـذا القسم

امراض العدنا تنقسم اقسام وما الها اسم

دكتور !

دكتور الجسم معافة مابيه فد مرض نخافة

العلة علة الروح

مجروحة بسبع جروح

لو تكدر داوي الروح

حقق يادكتور الامل ثخنت ييزي طال الاجل

مو بالخطب مو بالزجل احنا نطلب منك عمل

دكتور !

دكتور توكل بالله واشفينا من هالعلة

ييزي نظل بها لحال

دبر فد صورة حال

المرض ويانا طال

شرح واكطع ايد ورجل كصب واذبح ذبح الابل

اعزل لعضاء التنعزل بس خلينا نمشي عدل

دكتور !

دكتور دخل الله ودخلك ماتداوينا

دكتور داء اللي بينا منا وبينا

دكتور دتجينا الحمة من رجيلنا

دكتور اسكينا العلكم بس شافينا

كلهة منك

منه منه

منه منه منه منه كلها منه

مصايبنا وطلايبنا كلها منه

يعرب كلمن هب ودب ملجوع افاده معذب

ديصب دموع وينحب

ومصيبتنا ندري كلنا اساس الفتنة

من صاحبنة

عراقي وسوري ولبناني ومصري واردني ويماني

والسعودي ياخواني واحد ناصب للثاني

سكتوا لا احد يسمعنه الرجل فرق جلمتنة

وحنا فرطنا بسمعتنة

احنا يا عالم سبعتنة اخوة ماختلفت غايتنة

شجانة فد نوبة تشتتنة شجانة دبت بينا الفتنة

والعتب على جامعتنة

جامعتنا الما جمعتنة

هنا يا عمر بن الخطاب ويا حيدر يا داحي الباب

العرب تصوبوا بصواب ماينبت بيه شعر وعاب

صفينة لا دين ولادنيه

ولا حميه ولا وطنيه

ولا بعد ظلت قومية

والطمع عامي بصيرتنا والزعامة كاتلتنا

ولجنبي قالق راحتنا تفرجوا شوفوا حالتنا

والعتب على جامعتنة

جامعتنا الما لمتنة

منانه لفاس ومكناس ناس صفينا تناحر ناس

كام الداس يا عباس جافت سمجتنا من الراس

وحنا هالدتشوفون حنا

ملتهين بقال وقلنا

والرجل كلسا ديوزنا

يا عرب والله حالتنا حالة ومصيبة مصيبتنا

نحجي تفضحنة قضيتنا نسكت تكتلنا علتنا

والعتب على جامعتنة

جامعتنا ألما نفعتنة

بحيله ودس وسبق إصرار فرقوا جلمتنا الأشرار

الثار الثار أهل الثار يا عرب النار ولا العار

صرنة للعالم سخرية

ولا بعد نسوة شاهية

صمنا وفطرنا بجرية

يا عرب ما هي غلطتنا جنا ماشين بنيتنا

لكن انكلترة خانتنا هيه شلت كل حركتنا

وهم أملنا بجامعتة

جامعتنا هي قبلتنة

بغداد

بالليل ونور القمر بالليل بين الزهر

بالليل قرب النهر

يحلى السمر يحلى السهر

ليلة من هذي الليالي ودجلة يشهد إلي بحالي

ردت أطير آني بخيالي

نهر وقمر زهر ووتر ووكت السحر

والسكون شامل الدنيا بجلال

والنسيم عاطر ويهب شمال

واني لازم عودي بيدي

اعزف واقرة نشيدي

بغداد يا بلد الرشيد ومنارة المجد التليد

يا زهرة الصحراء ردي بهجة الدنيا وزيدي

ما انتهيت من النشيد الاشفت جتني بنت

أكبلت وكفت أمامي

فد بنت مثل البدر ذاك الوجه ذاك الثغر

فد بنت ذاك الخصر ذاك الشعر ذاك الصدر

من شفتها جتي يمي تهيبت كمت وكفت

سلمت ردت سلامي

كالت اسمع يا بني واسمع تمام

أني بغداد وأنا دار السلام

والله عجز توني بالحب والغرام

ما شفت منكم ابد غير الكلام

مو وكعت أني بسكم والله حرام

تتركوني بها لوضع ولدي الكرام

دافعوا عني وراعولي الذمام

أني بغداد وأنا دار السلام

مانتهت من العتاب إلا شفت وتعجبت

القمر فد نوبة غاب

وانتشر بالجو ضباب

التفت غابت فتاتي اللي افديها حياتي

واني تركتني وحيد اعزف واقرة النشيد

بستان

يا جماعة والنبي

احنه عدنا بستان جنة من ها الجنان

بيها ما تشتهي الانفس والفواكه الوان

والارض مفروشة سندس كلها ورد وريحان

وبيها ها الانهار تجري مثل دجلة والفرات

لون ميهن لون خمري مو خمر ماء الحياة

لكن اللي يدري يدري واكثر العالم متدري

سرنا محد يدري بيه

وقف ها البستان ذرى صايرة للاجنبي

الجوقة

يابلاد العرب جددي عهد النبي

جاهدي لاتتعبي اقدمي لاترهبي

مهدنا ياقوم امسى موطنا للاجنبي

من اقاصي حضر موت لاقاصي المغرب

يعود عزيز علي ياجماعة والنبي

هذي والله بستان ما ملكها انسان

وحنا يا وسفة اهلها تاركيها من زمان

دشر كلمن جا دخلها صايرة خان شغان

بابها مفلش مهدم والحرامية تحوف

وطوقها معرعر مثلم واكعيلك بيها حوف

والنواعير النشامة ذولة حلوين الجهامة

صلوات على النبي

نايمين شلون نومة مستريحة بمذهبي

ياجماعة والنبي

هذي والله بستان تمناها رضوان

كلنا مولودين بيها من نزار وقحطان

دار سكني وساكنيها ولد عم واخوان

جنا عصبة شكد قوية جنا نرعد للرعود

ومن لفوا ها لحرامية وفرقونا بها الحدود

أصبح الراعي رعية وصرنا كلنا أنادي بالحرية

يا عرب للأجنبي

وانطفت ذيج الحمية والزلم لبسوا عبي

المونولـوج أذيـع في عـام 1952، وفيـه محاولـة لتحريض الفلاحين للثورة على واقعهم المزري .

عيش وشوف

عشنا وشفنا وبعد نشوف

قرينا الممحي والمكشوف

ماظل فد شي مو معروف

عيش وشوف .... عيش وشوف

عشنا وشفنا بها الدنية كل الادوار

وزين عرفنا الوضعية من احنا زغار

وختمنا وهسة شوية انكشفت لسرار

شفنا الدنيا مو مضبوطة

قط مو موزونة على النوطة

كلها اطماع باطماع واحنة وياها دوم صراع

الله يلعن ها الاطماع راح تكعدنا عالكاع

احنا بهذي الدنيا ضيوف

واللي عمره طويل يشوف

عشنا بهل الدنيا وشفنا صار لنا سنين

تعذبنا وتمرمرنا من العالمين

مصيبة هذي مصيبتنا ياربي عين

كضيناها بالما يخالف

لكن الحظ طلع مخالف

كلما سوينا من الجود وياهم غزر عود

هيجي العالم عدها فنود دايقيدونا قيود قيود

مارضينا بفد جزة صوف

صارت جزة وياها خروف

عشنا بهل الدنيا وشفنا كل الاحوال

بعنا وخلصنا احنا وكلنا امال

ولكن شو تالي خسرنا من راس المال

هم كلنا العوض بوجه الله

سبحانه المايزل فد زلة

لابد نتنفع فد يوم بفد شروة ونربح بالكوم

ماتظل هيجي دم الدوم لكن الحظ شو مشؤوم

هذي الدنيا كلها ظروف

واللي عمره طويل يشوف

عشنا وشفنا بها الدنية الحك للقوة

ها لنظرية عملية كوة مروة

من جا ادم للدنية هوه وحوه

الحك ماينطوه باللغوة

ولا بشهادة ولا بالفتوه

حبسونا

حبسونا وعذبونا وآلله لوما تقتلونة

وتحركونة وتذرونة لهذا الوطن حنا نصونة

مانخونة لا تظنونة

ما بعد تغرنا وعود ولا نتقيد بقيود

عرفناكم و عرفتونة بهذي اللعبة الملعونة

ياناس احنا الاحرار مانرضة الاستعمار

النار ولا هذا العار

جوعتونا وعريتونا ولعنتوا امنا وابونا

فكونا مرمرتونة

ييزي نتحمل عاد الظلم والاستبداد

ياما تجرعنا العلكم وشيعنا من الهم والغم

ياما وعدتونا وعود وعاهد تونة بعهود

اوفرها من يخضر العود

وهدنتونا وغشيتونا خومو بلوة بليتونا

بكتونا ونهبتونا

مانهاب حنا التهديد ولا الضغط ولا التشديد

مجلسكم منكم بيكم يامن غضب الله عليكم

تردوها كبار كبار تردوها زغار زغار

مجلسكم مجلس اشرار

واتراوونة الموت شلونة حتى نرضة بالصخونة

الظاهر ما عرفتونة

صارلنة حفنة سنين دانشوف حنا فلسطين

هذي الارض العربية تنهشها الصهيونية

بس صحنا يامعودين تهمتونا نازيين

وتتهمونا شيوعيين

سكتونا ولهيدونة وسويتو اللي تريدونة

بعتونة وخسرتونة

ماحنا نازيين ولا احنا شيوعيين

احنا نريد الحرية والحكومة دستورية

ليريد الاستقلال مايهمه ادم والمال

الايمان يهد جبال

من تحبسونا وتعتقلونة لاتظنون تخذلونة

شفتونة وعرفتونة

المونولوج اذيع في بداية عام 1948

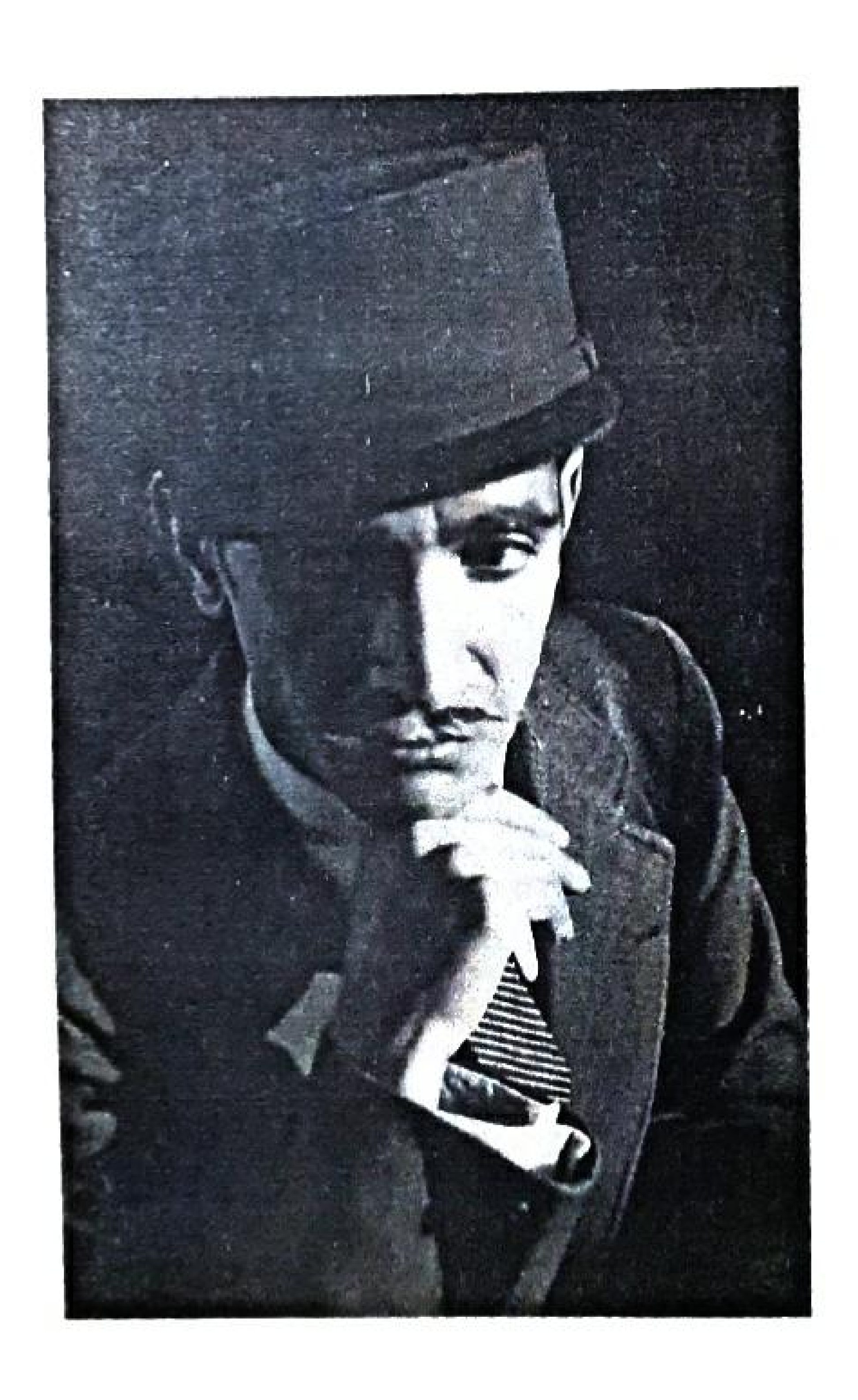
ملحق الصور

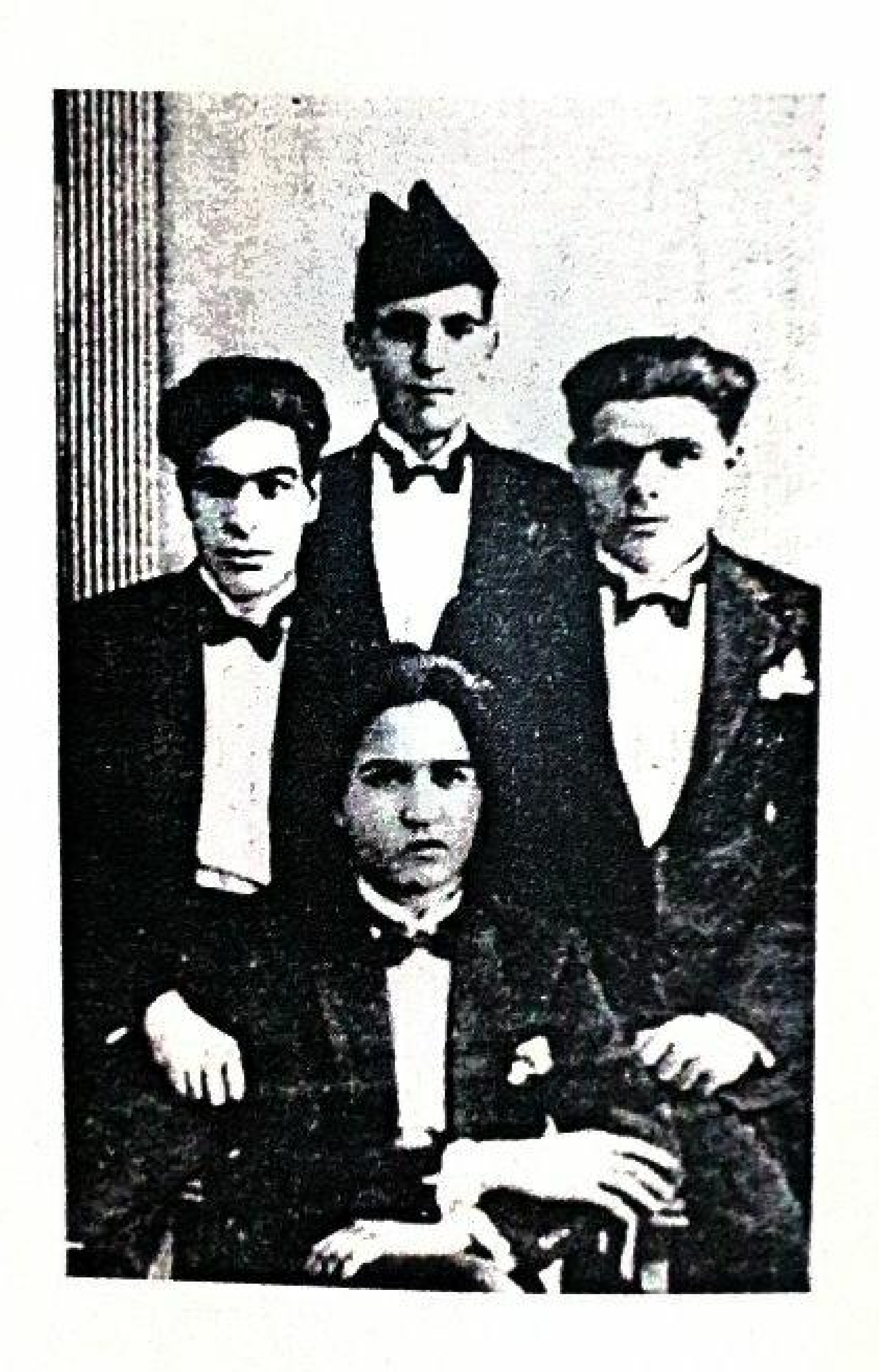


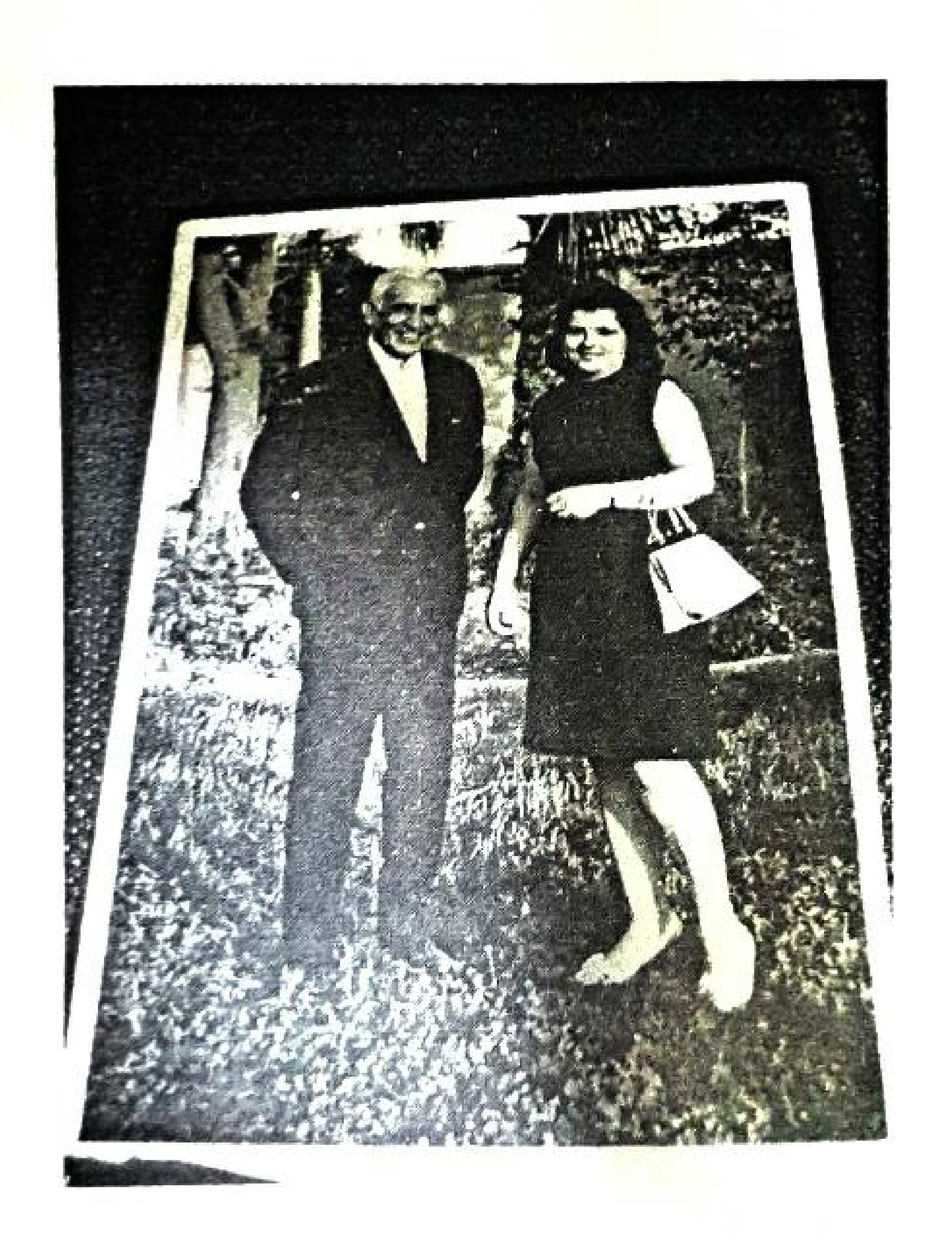






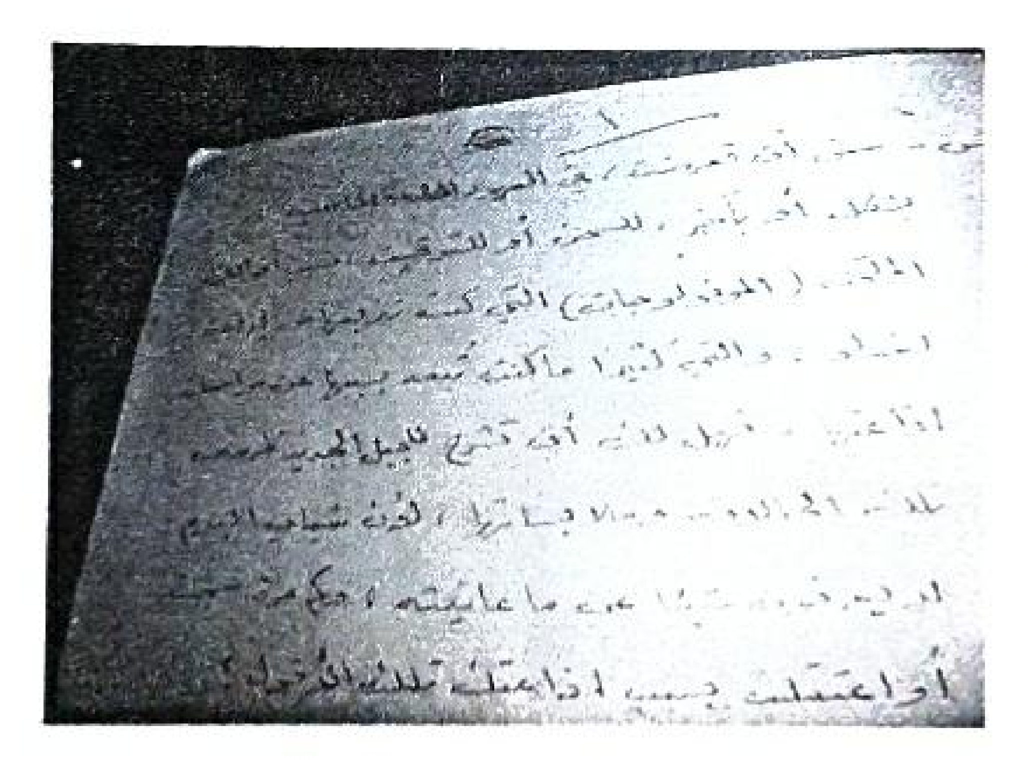




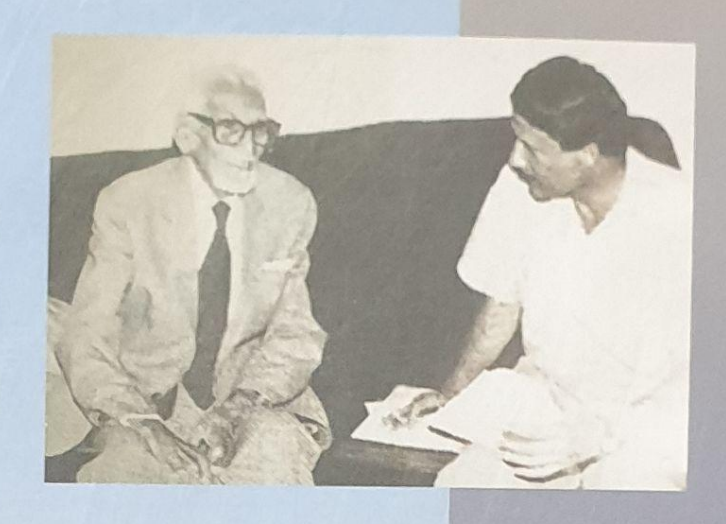




عزيز علي وعبد الوهاب الشيخلي في الإذاعة



المحتويات

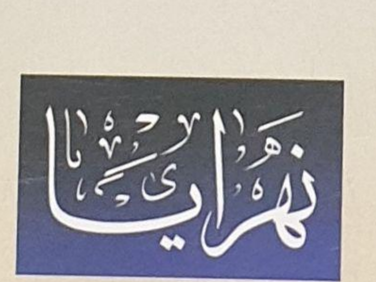


العبقري
الذي ملأ الدنيا
وشغل الناس

عزيز علي

عزيز علي فنان كبير وقدير، ويكفيه فخراً أن مونولوجاته أصبحت صالحة لكل العصور، لما فيها من عبقرية هذا الرجل الكبير بفنه وثقافته وما تزال لحدّ يومنا هذا أقوال أو مونولوجات عزيز علي حاضرة ومؤثرة، بالرغم من أنه كتبها ولحّنها قبل أكثر من نصف قرن... فأيّ كلمات تلك التي يبقى تأثيرها السحري نابضاً رغم تقادم السنين؟!... إنها العبقرية الحقّة.

الكتاب وقع بأيد أمينة لدى الأستاذ الناشر مازن لطيف الذي يستحقّ الشكر والتقدير، وقام بنشره، كما هو كملحق لمجلة نهرايا الفصلية التي باتت تأخذ حيّزاً جيداً لدى الوسط الثقافي العراقي.



كتاب مجلة نهرايا (٢)

العراق - بغداد - شارع المتنبي

تصميم الغلاف: م. جمال الأبطح

Safahat